اللغة العربية :
بين بناء القرآن الكريم ، وهدم العلمانيين!!

تأليف
الدكتور/ محمود محمد محمود غطاس
الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين بالقاهرة

٢٠٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً ﷺ عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين.

وبعد:

فهذا البحث أشرف بأن أتقدم به إلى القارئ العربى، وإلى القارئ المسلم فى كل مكان، وخاصة فى هذه الأيام بالذات؛ التى تحكى أسوأ صورة وأقبحها عن العرب والمسلمين فى مرآة الغرب ومنظوره، وسواء أكانت هذه المرآة مجلوة نقية تعكس الواقع بكل بشاعته ونفوره، أم كانت رديئة لا تمثل من هذا الواقع إلا ما يعلو هذه المرآة من صدأ وندوب، فإن كل ذلك ليس بمستطيع أن يقدم للناس صورة تليق بالمسلمين وبحضارتهم، التى كانت ظئر الحضارة الغربية وحاضنتها، ومربيتها؛ وذلك لأسباب عديدة - ليس هنا محل بحثها وإيرادها - من بينها: ما يلاقيه الإسلام من حروب على اختلاف ضروبها وأشكالها من أعدائه فى الخارج، وكذلك ما يناله من تشكيك فى مصداقيته، وطعون على مادته ومبادئه من المحسوبين عليه فى الداخل من العلمانيين الأذلاء، وذلهم ينبع من الموقع الذى اختاروه لأنفسهم،ورضوا به. رضوا بأن يكونوا خدماً للغرب فى أغراضه وتحقيق نواياه الخبيثة، وأن يكونوا على الأخص ذيلا قصيراً بل وقميئاً للاستشراق فى كل ما يردده ويقرره ويطعن به على الإسلام. وليتهم كانوا عيناً للمستشرقين ودليلاً على كل ما أوردوه من نقد وطعن على الإسلام ونبيه ﷺ وكتابه، وتراثه العظيم، ولو تسنى لهم ذلك، أو عشر معشاره إذن لكسبوا احترام المستشرقين، وثقتهم واستأثروا بحظوتهم، وفى نفس الوقت كان ذلك يهون عليهم ما اكتسبوه من مقت وسخط عند المسلمين، باعتبار أن العلمانيين العرب يفترض أنهم يعرفون اللغة العربية، ويدركون أسرارها ويذوقون ما فيها من جمال ومتاع؛ فهى لسان التراث الإسلامى برمته، وهو موضوع كلفهم وشغلهم، وهذا بطبيعته يجعلهم أقرب إلى الموضوعية فى درس هذا التراث وغربلته، بل وفى نقد ما يحتاج منه إلى هذا النقد، أكثر من المستشرقين أنفسهم، الذين أزعم بل وأجزم بأن عليتهم فضلاً عن سوقتهم لم يقفوا على أسرار اللغة العربية - التى هى غريبة عنهم، فليست لغتهم - ولم يفقهوا أسرارها، ولم يتسن لهم إدراك أسرار تراكيبها وخصائصها، وما تمتاز به على غيرها، وكذلك

جهلهم الشنيع بالدين يقول الأستاذ / عباس العقاد: هنـــاك أوهـام كثـيرة أشاعها المستشرقون؛ بسبب تفسيراتهم الخاطئة لكثير مـــن أمـور اللغـة والدين ومنها: ما كتبه بعض المستشرقين تفسيراً لاسم أبى بكر ﷺ من أنـه أبو العذراء!! ومنها: ما قالوه فى تفسير لمعنى "القصيد" من أنه المقصـود! ومنها أيضاً: ما تورط فيه ذلك المستشرق من خطأ معيب، فـــى تفسـيره لقوله تعالى: ﴿وترى الملائكة حافين من حول العـــرش﴾(١) بقولـه: أى بدون أحذية!! ويعلل العقاد ذلك بقوله: ذلك أنهم على غير علم دقيق باللغة العربية، وليس هذا غريباً، فهم لا يفهمون أدب أمتهم، ولا يجيدون معرفـة هذا الأدب فى لغتهم، فمن باب أولى ألا يحسنوا فهم الأدب العربى، وقـد كانت لهم كانة أكثر مما يستحقون حتى وقفنا أمامـــهم، ووضعنـاهم فـى موضعهم"(٢)، وأنا أقول: وواقع الحال يشهد بأن العلمانيين عندنا ليسـوا بأحسن حالاً فى هذا الشأن من هؤلاء المستشرقين، بل لـــو أنـك قـرأت نتاجهم الأدبى والعلمى، بل والشعرى - كما سترى - لاعـــتراك النفـور والإشمئزاز وسيطر عليك القلق والإضطـــراب ، وكـأنك تقـرأ أعمـالاً مترجمة - ترجة رديئة - لا يجمع بين فقرات هذه الأعمال وجملها جامع، فى لغة رثة هزيلة، بل ومبتذلة أحياناً، خفيفة النسج، قليلة المـــاء، ذابلـة الأوراق، لا تلتزم العربية - فى الغالب - فى قواعدها، ولا فـــى جمالـها وسحرها وطلاوتها، ورقتها وعذوبتها. ويغلب على موضوعاتـــها الـهدم والنقض، لا البناء والتأصيل والتأسيس. وكأن هذه رسالتها!! هدم الإسـلام، وفصم عراه عروة عروة، وتشويه صورة أهله. ولا أراك تجدنى مغاليـاً فى ذلك إذا طرحت أمامك بعض أقوالهم فى ذلك، فهاك بعضـــها ، يقـول أحدهم - فى زهو استعلاء - : تقرأ عن معركته مع شوقى - يقصد عباس محمود العقاد - فتتذكر معركته مع الملك، ويذكرك حـــواره الحـاد مـع النحاس ... وكل هذا يذكرك بصراعـه ضـد الشـعراء المجددين فـى الخمسينات والستينات. قيل له:- أى للعقاد - إن هؤلاء الشعراء الشبان - وكان منهم كاتب هذه السطور، يقصد نفســـه - يريـدون أن يحطمـوك، ويحطموا عمود الشعر العربى من أساسه. وقيل له: بل هـــم شـيوعيون يريدون أن يحطموا كل بناء قائم، وكل قاعدة ثابتة !! فهب واقفاً وامتشـق الحسام، وكانت معركة من معاركه القليلة الخاسرة(٣)!! ويقـــول فـهمى هويدى: ولنذكر أن أحدهم - أى أحد العلمانيين - قال: إن أحـد المداخـل الرئيسة للتأثير فى هذه الأغلبية "المتدينة" الصامتة، هو ضرب المرتكـزات الأساسية التى تنطلق منها هذه الاتجاهات الدينية، بل إن كبيرهم - يقصـد

الدكتور فؤاد زكريا - قال: بإن هذه الدعوة أمنيـــة منشـودة(٤)". وهـم يهدفون من وراء ذلك إلى إعادة تشكيل المجتمع علـــى النمـط الغربـى، وعلى الأخص النمط الفرنسى بخصوصية تجربته العلمانية المتطرفـة(٥). وأما عملية التحديث - التى يتشدقون بها - وإشاعة العلم والمعرفـة فـأى علم ومعرفة؟ يقول الدكتور فؤاد زكريا : فالعلم هو الـــذى يمـيز ثقافتنـا اليوم، وهى ثقافة الدهماء فى نظر "جاسيه", و"الدهمائية" أو الجماهيريـــة: هى حالة كل من يعجز عن أن يضع لنفسه قيماً معينة، على أسس معينـة، سواء كانت تلك القيم خيراً أو شراً(٦)" فالعلمانيون يريدون منا أن نكـــون مسخاً بلا هوية ولا دين ولا قيم ولا لغـــة ولا قوميـة ولا حضـارة ولا شخصية تخصنا، إلا ما يريدوه لنا، وهو ما وصلنا إليه الآن. والذى مـهد لهذا هو الفراغ الفكرى؛ الأمر الذى مكن لشتى الاتجاهات الفكرية لغـزو هذه المجتمعات الإسلامية، ومحاولتها أن تحل محل الإسلام فى توجيه هذه المجتمعات. فقد طغت موجات الإلحاد بعنفها تهز الأسس الروحيـة التـى تقوم عليها المجتمعات فى شتى أنحاء العالم، -كما يقول الدكتور زقـزوق - كما اقترن الانحلال الروحى بموجة انحلال خلقى، يجند لخدمتـه العلـم والفن وكل الوسائل المستحدثة(٧). وإذا كان الفعل يستلزم رد الفعل، فقـد ظهر فى المقابل طوائف من الشباب لم يأخذوا حظهم من فقـه الشـريعة الإسلامية، ولم يقفوا على قواعد الإسلام ومقرراته، ووسـائله ومقـاصده وغاياته وأهدافه، ولم يستكشفوا المنهج الإسلامى الصحيح فـى دعوتـه، وفى محاربته للخارجين عليه، والمتربصين به فى الداخل والخارج. وقـد ترتب على هذا أن قامت طوائف من هؤلاء الشباب المسلم بأعمال طائشـة غير مدروسة، زادت فى قبح صورة المسلمين. ومن أجل هذا كله وغيره، بات الإسلام اليوم فى قفص الاتهام عند الغـرب، بتهمـة ظـاهرة هـى الإرهاب. هذه الكلمة السوداء ذات المعنيين المتقابلين، فهى فـى قـاموس الغرب من المشترك اللفظى - الذى يفيد الشئ وضده - ويفسرونها علـى مقتضى مصلحتهم، فإذا كانت لصالحهم، فهى الدفاع المشروع، وإذا كـانت على المسلمين، فهى الإعتداء بالقتل والتخريب والتدمير، ولكـن الحقيقـة الغائبة هى أن الإسلام يقف عقبة كؤدًا فـى طريـق مسـتقبل الحضـارة الغربية، ويبشر بأفول نجمها اليوم وتصدع أركانها، ومن ثـم كـان هـذا التحريب على الإسلام من داخله وخارجه. وهذا بدوره يدفعنا إلى أن نعيد ترتيب أوراقنا من جديد بما يتناسـب ومقتضيـات العصـر ومتطلباتـه، ومفاهيمه وأساليبه، وأن نكشف عن ساق فى التصـدى لـهذه الحمـلات

المحمومة، التى تستهدف مبنى الإسلام ومعناه، وعلى الأخص قاعدته الأولى - والأساس - القرآن الكريم، كتاب العربية الأكبر. ولما كان القرآن الكريم معجزة الإسلام الكبرى، وهى معجزة معنوية خالدة، لم تتوفر لغير نبينا محمد ﷺ، وكان لسان هذه المعجزة، هو اللسان العربى، كما قال تعالى: ﴿بلسان عربى مبين﴾(٨)، وكان الإعجاز باللفظ والمعنى، وقد قرنت هذه المعجزة بالتحدى للإنس والجن جميعاً على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، أو بعشر سور مثله مفتريات، أو بأصغر سورة من مثله، ثم كان العجز الكامل من الجميع، بل والتسليم المطلق للقرآن الكريم بهذه المعجزة، والإقرار له بهذه الحقيقة العظيمة. وقد وقع هذا الاعتراف واللغة العربية فى أزهى عصورها وأوج مجدها، والعرب ليس لهم صناعة إلا الكلام بمنظومه ومنثوره، وكان للشعر عندهم أسواق، وله منابر، وللشعراء منزلة لا تعد لها منزلة أخرى، وقد شهدت لهم الأمم الأخرى بذلك، ويدل عليه ما روى عن الحسن بن سهل الوزير العباسى المتوفى سنة ٢٣٦ هـ أنه قال: الآداب عشرة: فثلاثة شهر جانية، وثلاثة أنو شروانية، وثلاثة عربية، وواحدة أربت عليهن ... وأما العربية: فالشعر والنسب وأيام الناس ...(٩)". وما يزال التحدى بالقرآن الكريم قائماً منذ نزوله وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وقد سجل التاريخ عدة محاولات، حاول أصحابها أن يباروا هذا القرآن، أو أن ينسجوا على منواله، فباءوا بفشل واضح، وكان هذا بمثابة الدليل القاطع على أنه كتاب سماوى يحق على البشر أن يدينوا بدينه، وأن يؤمنوا به وبمن أنزل عليه(١٠)، وكان هذا الإعجاز بمثابة الحصن المنيع الذى يحفظ على القرآن لفظه ومعناه، ويحفظ على الأمة الإسلامية مجدها ببقاء هذا الينبوع الثر، بل هذا الفيض الهامر الذى أحيا موات اللغة العربية، وجدد خصوبتها وأبقاها على الدهر، ونفخ فيها من نفسه روحاً تسرى فى جنباتها؛ فرقت حاشيتها، وعذب مذاقها؛ وذلك لأنها كما يقول الزيات: كانت ترجماناً لوحى الله، ولغة لكتابه، ومعجزة للرسول، ولساناً لدعوته، ثم هذبها النبى بحديثه ونشرها الدين بانتشاره، وخلدها القرآن بخلوده. فالقرآن لا يسمى قرآناً إلا فيها، والصلاة لا تكون صلاة إلا بها(١١)، واللغة كذلك رابطة وثيقة بين الأمة الواحدة، فلولا رباط الإنجليزية بين أمم "الكومنولث" لما استطاع أن يربط بينها التاج، ولولا رباط العبرية بين شذاذ اليهود لما استطاع أن يجمع بينهم الدين، وإن الرجل الشرقى المسلم يتعلم الإنجليزية أو الفرنسية فيكون هواه ورأيه مع أهل هذه اللغة أو

تلك(١١)، ومن أجل ذلك كله لم يستطع أعداء الإسلام فى الداخل أو الخارج أن ينازلوا القرآن وينالوا منه لفظاً أو معنى، وبقيت له الغلبة والظهور والمنعة عليهم قديماً وحديثاً، ولكنهم لم ييأسوا وقد علموا منزلة اللغة العربية من القرآن الكريم، فتربصوا بها، وقعدوا لها كل مرصد، وبدأ المستشرقون الحرب على اللغة العربية تحت مسميات شتى، وإغراءات عريضة، ووعود جوفاء زائفة، لم تلق رواجاً وترحيباً إلا عند العلمانيين عندنا، بل صار العلمانيون أداة فى يد المستشرقين لزلزلة اللغة العربية، وتصديع أركانها، ومحوها من النفوس يقول وليم جيفورد بلجراف: "متى توارى القرآن ومدنية مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ، أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة، التى لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه، ولا يمكن أن يتوارى القرآن حتى تتوارى لغته(١٣)". بل سمعنا من بعض المستعمرين من بلغت به الجرأة فى السخف، وهو: ويكلوكس(١٤) إلى أن قال: "إن العامل الأكبر فى فقد قوة الاختراع لدى المصريين، هو إستخدامهم اللغة فى القراءة والكتابة". يقول مازن المبارك - ساخراً - : وكأنهم لو استخدموا اللغة العامية، لكانوا عباقرة الدنيا فى الاختراع والابتكار(١٥)، فالهدف واضح وهو التحريض على تمزيق اللغة العربية إلى لهجات محلية؛ لتحل العامية محل الفصحى. وعن تبعية العلمانيين لهذا الاتجاه يقول الدكتور طه حسين: سترى طائفة من الأدباء والعلماء والمفكرين عندنا يشاركون - بقصد أو بغير قصد - أعداء الإسلام فى التآمر على اللغة العربية، حتى ينزعوها من حضانة الدين، ويجردوها من مقومات إمامتها وصدارتها تحت مسميات عدة(١٦).

ولعل كل هذا وغيره هو الذى قادنى إلى أن أرابط فى هذا الثغر؛ لأدفع عن العربية هذه السهام المسمومة، التى تنال من لغة القرآن ولسانه، ولغة الرسول ﷺ وأصحابه، وهى كلها - كما يقول عبد السلام هارون - فى مجموعها من أصول التشريع الإسلامى(١٧)؛ ولأن مجالات اللغة متعددة فقد قصرت البحث على ثلاثة ميادين منها، وتركت سائرها لباحثين آخرين أكثر تخصصاً وتوفراً على اللغة وأشد غيرة منى. وهذه الميادين الثلاثة جاس خلالها المتستشرقون وفى ذيلهم العلمانيون؛ ليتبروا ما على فيها تتبيرا وهذه الميادين هى: إحلال العامية محل الفصحى، وقصر الأدب العربى. على الأدب الشعبى، وكسر عمود الشعر العربى. ولأن هذه ميادين بالفعل، فلا يمكن لبحث واحد أن يستغرقها ويستوفى جوانبها. ومن ثم وقف هذا البحث على الأصول والغايات فى الشبه

المثارة فى هذه الجوانب عند أصحابها من العلمانيين، ومن أخذوا عنهم من المستشرقين، مع تقرير هذه الشبه، وبيان مصدرها، وكشف ما تهدف إليه ، مع الرد عليها وبيان زيفها وتهافتها. وكان حرى بهذا البحث أن يتوجه مباشرة إلى المستشرقين؛ لأنهم مصادر هذه الشبه ورءوسها، ولكن العلمانيين نحلوها لأنفسهم واشتهروا بها، وكأنها من بنات أفكارهم، فلزم أن يتوجه الخطاب إليهم، حتى يتسنى لنا أن نكشف عن زيف بضاعتهم ورثاثتها، وحتى إذا كانت لهذه المحاولات ما يبررها فى اللغات الأوربية - كما يقول الدكتور محمد محمد حسين - التى تشترك فى طبيعتها اللغوية، وتتقارب فى ظروفها الاجتماعية، والتى لا يمر قرن واحد على لغة من لغاتها، دون أن يصيبها تغيير أساس فى كثير من مفرداتها وقواعدها فقياسها على اللغات الأوربية لا يكون إلا عن جهل أو سوء قصد(١٨). ولكن العلمانيين عندنا فى قياسهم بأولئك ينزلون أنفسهم منزلة التشبيهات من المعانى الأصلية كما يقول بعض الظرفاء!!(١٩). وكان من أسباب انتقائى لهذه الميادين بالذات وإيثارها بالدراسة والبحث. أن بيان القرآن لا يتم إلا باللسان الذى أنزل به يقول تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾(٢٠). وكذلك فإن تفسير القرآن الكريم يقوم على دعائم من بينها الشعر العربى، وأما الأدب العربى فينبغى أن يؤخذ من مصادره الحقيقية، وفى صدارتها القرآن الكريم والسنة النبوية والسيرة النبوية وغيرها يقول مصطفى صادق الرافعى: وذلك لأن فى لغتنا معنى دينياً هو سرها. وحقيقتها، فلا تجد من رجل روى أو صنف، أو أملى فى فن من فنون الآداب أول عهدهم بذلك، إلا خدمة للقرآن الكريم، ثم استقلت الفنون بعد ذلك وبقى أثر هذا المعنى فى فواتح الكتب، والقرآن نفسه حادثة أدبية من المعجزات الحقيقية التى لا شبهة فيها، وإن لم يفهم سر ذلك من لا يفهمونه(٢١)، وستأتيك باقى أسباب اختيارى لهذه الموضوعات الثلاثة فانتظرها - وإن كان يجمع ثلاثتها هدف واحد، وهو إضعاف اللغة العربية وعزلها عن حياة الأمة الإسلامية، وأن ثلاثتها أيضاً يترتب بعضها على بعض، فإذا حلت العامية محل الفصحى تحولت إلى لهجات عربية مختلفة باختلاف البلدان، ويترتب على ذلك أن يبحث أهل كل بلد أو مصر عن الآداب الشعبية التى ترتبط بهذه اللهجة أو تلك فى موروثاتها الوثنية وعاداتها وتقاليدها وغير ذلك، ويبقى الشعر بلا مورد، فلا بأس أن ينظم بالعامية، أو ينحل بعض أعاريض الشعر الغربى وأوزانه!! وهذا بعينه هو ما يقوم به العلمانيون الآن ، ويطبقونه على

اللغة والأدب والشعر. وفى المقابل نجد القرآن الكريم يدعم اللغة بكل وسائل الدعم ويقويها، ويفتح الآفاق الرحبة للشعر، ويقدم الأدبيات الحقة فى حياة الأمم والشعوب والرسل والأفراد، والأمكنة والأزمنة بين يدى الأدب الإسلامى والعربى. وهذه محاولة منى أن أرأب هذه الصدوع، وأسد هذه الثغور، وأن أرد هذا الكيد، وأدفع ذلك العدوان من المتربصين والحاقدين وأعداء الدين. فإن وفقت فمن الله وحده، وإن كانت الأخرى فحسبى أنى أجتهد، وللمجتهد إذا أصاب أجران، وإذا أخطأ فله أجر، وهو أجر اجتهاده وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

خطة البحث

قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة. أما المقدمة، فقد ضمنتها خطر هذا الموضوع وأهميته، وأسباب اختيارى له.
وأما الفصل الأول وعنوانه: المقدمات والتمهيدات، وتحته ثلاثة مباحث: ١- العلمانية وصلتها بالشعوبية والزندقة ٢- مداخل العلمانية تشبه مداخل الشعوبية فى محاربة الإسلام ٣- دهاء العلمانية فى الوقوف خلف كل عمل مشروع لتنفيذ مخططاتها.
وأما الفصل الثانى وعنوانه: العلمانيون وإحلال العامية محل العربية والرد عليهم وتحته عشرة مباحث: ١- أول من نادى بالعامية ٢- طبيعة العامية تمنعها أن تحل محل الفصحى ٣- أصل فكرة الدعوة إلى العامية ٤- الهدف الحقيقى من إحلال العامية محل العربية ٥- وشهد شاهد من أهلها ٦- اللغة العربية مدينة للقرآن الكريم بحياتها وازدهارها وبقائها إلى اليوم ٧- أسباب انتشار اللغة العربية ٨- تأثر اللغات اللاتينية وغيرها باللغة العربية ٩- شهادة الخصوم بفضل اللغة العربية ١٠- بعض أوجه الخلاف بين اللغة العربية وبين غيرها من اللغات الأخرى، وبيان ما تمتاز به اللغة العربية فى ذلك.
وأما الفصل الثالث وعنوانه: موقف العلمانيين من الأدب العربى والرد عليهم، وتحته أربعة مباحث ١- صلة الأدب العربى بالقرآن الكريم واللغة العربية ٢- تعريف الأدب عند علماء العرب وعند العلمانيين ٣- تخصص بعض المستشرقين فى الأدب العربى ٤- مصادر المستشرقين والعلمانيين فى الأدب العربى، ومنهجهم فى دراسته، والرد عليهم.
وأما الفصل الرابع وعنوانه: العلمانيون وموقفهم من الشعر العربى والرد عليهم وتحته سبعة عشر مبحثاً: ١- تعريف العلمانيين للشعر ٢- متى بدأت هذه الحركة وكيف بدأت؟ ٣- أساس هذه الفكرة ٤- تقييم هذه الفكرة وبيان أهدافها، والرد عليها ٥- الهدف الأكبر لحركة الشعر الحر ٦- حياة الأمم وتفكيرهم فى مفردات لغاتهم ٧- الشعوب المتحضرة تتمسك بعقائدها ٨- بضاعتنا ردت إلينا ٩- المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه، والعلمانيون عندنا ١٠- تعريف الشعر عند العرب، وبيان فضله ١١- صلة الشعر بالقرآن الكريم ١٢ - حكم الشعر فى الإسلام ١٣ - عود على بدء ١٤- قوانين الشعر العربى، وهل يمكن الخروج عليها ١٥- مراتب الشعر العربى ١٦- الضرورة الشعرية لموافقة الوزن والقافية والحفاظ على سلامة اللغة ١٧- المبحث الختامى وعنوانه: الإحياء والتجديد وعلاج آلام الأمة الإسلامية ثم الخاتمة، وقد ضمنتها نتائج البحث وتوصياته، ثم جريدة المصادر. والمراجع، والله الموفق للصواب.

الفصل الأول
المقدمات والتمهيدات

"مدخـــل"

حسبك أن ترى صنيع القرآن الكريم فى إحيـــاء اللغـــة العربيـــة وإنمائها، والمحافظة عليها من الضياع، وبعثها من جديـــد؛ بـــأن أمدهـــا بمفردات جديدة، ورفدها بمجازات واستعارات وتشبيهات وكنايات بلغـــت بها مناط الإعجاز، مع المحافظة على الصـــالح مـــن قديمـــها، وتوظيفـــه واستخدامه، بـــل ومزجـــه بمعـــانى مســـتحدثة، وتطويـــر اســـتخداماته واستعمالاته، بل وجعل هذه اللغة، لغة العلوم والفنون والآداب، وكلف بـــها فى العبادات والشعائر والمناسك وغيرها، وبرهـــن بـــها علـــى إعجـــازه وإيداعه ودعا إلى التحدى بها فى رباط مـــن الرقـــة والعذوبـــة، وطـــهر مجراها من حوشى الألفاظ، وشذوذ اللهجات، وجعلها معجـــزة صـــاحب الشريعة ﷺ معجزة أبدية لا تلحق ولا تنخرم، بل هى خطاب كل عصـــر، لا تزيدها الأيام إلا شبابا ونضارة، وبجانب أنها معجزة فهى منهج تشـــريع وحياة، لدواعى الحفظ والديمومة. وكانت اللغة أيضا لســـان الرســـول ﷺ ولسان دعوته، وكذلك المخاطبين من أصحابه وتابعيهم فمن بعدهم. فكـــل أولئك من أسباب حياة هذه اللغة وبقائها إلى اليوم، بـــل وســـر نهضتـــها وارتقائها وسمو مكانتها بين لغات العالم أجمع، إذا أخذنا فى اعتبارنـــا أن غالب العلوم التى نشأت فى الإسلام على اختلافها اكتسبت مناهجـــها مـــن منهج الإسلام ذاته فى دعوته، ومن ثم ربطت نفســـها بـــه فـــى وســـائلها وأساليبها وأهدافها ونتائجها، بل واستمدت شواهدها من القـــرآن الكريـــم، باعتباره أقدم وثيقة عربية مجمع على صحتها والوثوق بها، وكذلـــك مـــا صح وتواتر من السنة النبوية. وقد امتاز هـــذا التوجـــه الحســـن بـــرواده البررة، الذين كانوا أعلاما فى أكثر فروع المعرفة، فأثروا الحياة الفكريـــة والعلمية والأدبية والشعرية بإبداعاتهم وتصانيفهم واختراعاتـــهم، فكـــانوا باللغة وكانوا لها، وقد فجر فيهم القرآن طاقات إبداعية صاروا بـــها قـــادة الفكر ورواد المعرفة، وقد تهيأ لهم أن استوعبوا - إلـــى جـــانب ذلـــك - خلاصة ما أنتجته حضارات العالم بفضل انتشار الإسلام شـــرقا وغربـــا، فصاغوا من كل ذلك أكبر حضارة عرفها التـــاريخ وأدومـــها، وصـــارت لغتهم لغة عالمية، هى لغة الاقتصاد والتجارة، ولغة العلم والفن والفلســـفة والطب والفلك، وهى لغة السياسة والإدارة والشعر، وسائر الفنـــون، وقـــد أكسبها هذا جدة وطرافة، وزادها اتساعا وعمقـــا، بـــل غـــزارة وطلاقـــة وجمالا، وغدت هى رابطة وحدتهم، وواسطة عقدهم، وعنـــوان مجدهـــم، وترجمان حضارتهم بفضل رعاية القرآن الكريـــم لـــها، وكلفـــه الشـــديد

بحضانتها مما ساعد على ديمومتها وتألقها. وهذا البحث الذى بين يديـــك - أيها القارئ الكريم - يعتبر قطرة من بحر، تمده من بعده سبعة أبحر فـــى أمثالها أو تزيد من عطاءات القرآن الكريم للغة، ولا تظن أن اللغـــة قـــد خلصت لأهلها فى أعصار هؤلاء الرواد الأول، بله دينهم وهـــو الإســـلام ذاته قد سلم هو أيضا من التحريب عليه مـــن أعدائـــه واســـتقام لأهلـــه، وخاصة من الشعوبية - وسيأتيك نبؤهم - وأنا أتصور أن يكون للمســـلمين أعداء من داخلهم أو من خارجهم، والمسلمون يحتكرون حضارة عظيمـــة عادلة تتحكم فى مصائر شعوب الأرض قاطبة، وتدير دفة العالم أجمع فـــى كافة شئونه الاقتصادية والعلمية وغيرها، ويكون باعث هذا العـــداء هـــو الحقد والضغينة أو غير ذلك - كما سيأتى - ولكن من غير المعقـــول أن يكون هذا العداء بعينه أو أشد منه من طائفة العلمانيين ممن ينتسبون إلـــى الإسلام !! والمسلمون على حالتـــهم الراهنـــة مـــن الضعـــف والـــهوان والتشرذم، وأن تكون الشبهات التى يثيرها العلمانيون هى نفس الشـــبهات التى كان يرددها الشعوبيون، فهل بينهما من علاقة أو لحمة؟

١- العلمانية وصلتها بالشعوبية والزندقة

تعريف الشعوبية: الشعوبية هى فرقة لا تفضـــل العـــرب علـــى العجم، ولا ترى لهم فضلاً على غيرهم. أو بمعنـــى آخـــر، أنـــها فرقـــة تتعصب على العرب وتحتقرهم(٢٢).

متى نشأت؟ : نشأت الشعوبية بُعيد عصر الخلفاء، بدخول أجيـــال كثيرة من الفرس والترك والنبط فى خدمة الدولـــة الإســـلامية؛ فنشـــأت العداوات بين العرب أصحـــاب الدولـــة، وبيـــن العجـــم الذيـــن انتحلـــوا الإسلام(٢٣).

كيف نشأت؟ : قامت الشعوبية على أساس من تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية. القاضية بالمساواة بين العرب وغيرهم، فليس لعربى فضـــل على أعجمى إلا بالتقوى والعمل الصالح، وكذلك ما ورد فـــى كتـــاب الله تعالى فى قوله: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شـــعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾(٢٤)، وقد أخذوا من هـــذه الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل﴾ باعتبار أن من ليـــس مـــن العرب "شعوباً"، وذلك رداً على اعتبار أن العرب أنفسهم "قبائل". وإذا كان المؤرخون قد اتفقوا على هذه البداية، فإنهم اتفقوا أيضاً على أنها إذا كانت ابتدأت بمبدأ المساواة، فإنها انتهت فى كثير من الأحيان بالقول بإن العـــرب أحط من غيرهم من الشعوب(٢٥).

صلة الشعوبية بالزندقة : كان أغلب الشعوبية من الزنادقة، بل كانت الشعوبية فى العصر العباسى الأول دليلاً على الزندقة، وهذا ما ذهب إليه الدكتور عبد الرحمن بدوى(٢٦)، إذ يرجع حركة الزندقة كلها أو معظمها إلى الشعوبية. وقد سبقه إلى ملاحظة هذه الصلة الجاحظ، فقال عن العصبية التى هى أساس الشعوبية إنها: "لا تبقى ديناً إلا أفسدته، ولا دنيا إلا أهلكتها، وهو ما صارت إليه العجم من مذهب الشعوبية"(٢٧)، ومن ذلك ما جاء فى كتاب "الأغانى" عن رجل، إنه من زنادقة الشعوبية(٢٨)، وهكذا ارتبطت الشعوبية بالزندقة ارتباطاً وثيقاً، فأصبحت الواحدة متممة للأخرى ومرادفة لها .

منهج الشعوبية فى عملها، وأدواتها، والشبهات التى أثارتها: بدأ الشعوبيون أولاً بهدم الفكرة العربية، ولما عز عليهم اقتحامها لجأوا إلى الدين الإسلامى باعتباره عصب العروبة، وقد نزل القرآن الكريم فى الجزيرة العربية، وبلسان عربى، وعلى رسول عربى.

أدواتهم وآلياتهم فى العدوان: اتخذ الشعوبيون من الزنادقة، وكذلك من المبادئ الفارسية الهدامة أسلحة يوجهونها إلى صميم الإسلام، وأدخلوا كثيراً من هذه المبادئ عليه؛ ولذلك يقول ابن حزم: "والأصل فى أكثر خروج هذه الطوائف عن ديانة الإسلام، أن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم، وجلالة الخطر فى أنفسهم، حتى أنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأبناء، وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدى العرب، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطراً، تعاظمهم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة، وراموا الكيد للإسلام بالمحاربة فى أوقات شتى"(٢٩).

الشبهات التى يرددها الشعوبيون : سنكتفى هنا بإيرادها مجملة، وأما تفصيل الحديث عنها فنرجئوه إلى وقت مناسب - فى غير هذا البحث - وهاك مواضع شبهاتهم:

١- صدق الرسول فى دعوته؟
٢- القرآن والإسلام؟
٣- عقيدة القضاء والقدر؟
٤- تعدد الزوجات والطلاق؟
٥- الحجاب؟
٦- الاسترقاق؟
٧- المسكرات؟

٨- الربا؟
٩- التصوير والنقش؟(٣٠)

مع ملاحظة أن اللغة العربية هى مدخل القرآن الكريم وأداته وهى موضع سخطهم ونقمتهم. ألا ترى معى أن هذه الشبهات عينها، هى الشبهات التى يتعلق بها العلمانيون، إذا أخذنا فى اعتبارنا جهات بعض هذه الشبهات المتعددة، ولعل هذا هو ما جعلنا نعتقد فى صحة هذه العلاقة القائمة بين العلمانية والشعوبية؛ بل ونزكى ما قاله محمد كرد على فى هذا، يقول: ونحن هنا نطلق لفظ الشعوبية على كل من ناهضوا العرب - يقصد المسلمين - فى القديم والحديث، وفى الشرق والغرب، وقاموا ينقصون من قدر حضارتهم وتاريخهم لأغراض فى نفوسهم لا تخفى على أرباب البصائر(٣١).

وسنقتصر هنا على إيراد شبهة واحدة للعلمانيين، وهى اللغة العربية وإن كانت هذه الشبهة لم تجر على لسان الشعوبية، إلا أنها تندرج بالتبع تحت شبهة القرآن الكريم - بإعتبار أن ما أوردوه عليها لا يعدو أن يكون شبهة - ولكن من زوايا ثلاث، وهى : حلول العامية مكان العربية، والثانية: موقفهم من الأدب العربى، والثالثة: موقفهم من الشعر العربى؛ ولا غرابة فى أن يتطرق البحث إلى هذه النقاط؛ وذلك لأنها من أهم مواطن التأثير فى المجتمعات، ومنابر حق يراد بها الباطل والبهتان، وهذا أولاً، وأما ثانياً: فلأن اللغة العربية هى لسان القرآن وقوامه، فإذا ما تناولتها معاول الهدم من جانب سرى التصدع فى سائر أركانها. وأما ثالثاً: فلأن هذه المراتع خاصة صارت حكراً على هؤلاء العلمانيين يعيثون فيها فساداً، بل وباتت دار أمان لهم لا يجدون من يهيجهم فيها، بله أن ينازعهم ويعلوهم ويغلبهم عليها، على شدة خطرها، وشرف موقعها... ولكنى سأبدأ أولاً بمداخل العلمانيين، التى تذكرك بمداخل الشعوبية فى مناهضة الإسلام، والالتفاف حوله للنيل منه ومن كتابه ومن لغته. وسبق أن ذكرنا مذهبهم فى هدم كل بناء قائم، أو قيمة ثابتة لهذه الأمة.

٢- مداخل العلمانية تشبه مداخل الشعوبية فى محاربة الإسلام.

يقول "فريد هاليداى" : ما من أحد يمكن أن يكون أكثر "استشواقاً" من القومى العربى، الذى يتباهى بتفرد العرب وخصوصيتهم. وإن أشكال القهر الموجودة فى الأماكن الأخرى، والقائمة على الطبقة أو الجنس أو العرق، لا تعمل فى العالم العربى - ولقد عجز الشعوبية من قبل على اقتحام هذا الثغر - ثم يقول: فالرؤيا الإسلامية تنكر صراحة صلاحية ما

يعتبر معايير تقييم غربية علمانية!! للعالم المسلم ... ويمكن أن نجد حتى ماركسيين سابقين، وعرباً من أصل مسيحي يمجدون فضائل الحضارات العربية الإسلامية - وماذا تريد أنت؟ - ويقال: إن الطريقة الوحيدة لفهم مسلك مجتمعات الشرق الأوسط، هى من خلال تحليل الإسلام(٣٢)!! فأى جديد أتى به؟ هى نفس الطريقة التى سلكها الشعوبية، والجديد هنا التعمية تحت مسميات تعجب الأغرار مثل: تحليل الإسلام؟!! وهو يهدف إلى التحلل منه..

٣- دهاء العلمانية فى الوقوف خلف كل عمل مشروع لتنفيذ مخططاتها

يقول أحد العلمانيين: هؤلاء المثقفون التقليديون يحيطون بنا من كل صوب وحدب، ولا يزالون يمثلون الأغلبية العددية من حيث الحضور والتأثير - يقصد رجال الدين الإسلامى - خصوصا إذا وضعنا فى اعتبارنا ما يغلب على الثقافة العربية من تيارات الإتباع، التى تدفعها إلى التوجس من التحديث، والاسترابة فى الحداثة، فهى ثقافة لم تزل تؤثر الحنين إلى الماضى، بدل الاندفاع إلى المستقبل. وهى ثقافة لم تفارق عناصر البطريركية - لماذا هذا الكذب المكشوف، وما وجه المقارنة؟ - التى تجعل من التراتب الهابط، المبدأ القيمى الحاسم، فترد الدولة على الحاكم الواحد الأحد - وهل هذا متصور فى الإسلام حقاً ؟ - الذى تهبط تعليماته من الأعلى المعصوم - هل هو الله أو الرسول، ولكن هذا سوء أدب - إلى الأدنى الذى هو غيره فى تدنى المكانة" يقصد أن الغالبية مؤمنة، ودليل إيمانها ليس معها. إنما تتلقفه من طوائف الكهنوت، والتى هى بدورها تأخذه عن المعصوم الأعلى بالإتباع فقط دون نظر أو تفكير، وليس مع هذه الأغلبية من حق سوى أنها أغلبية وحسب. ونحن نساله وهل هذا موجود فى الإسلام؟!! ولكنه يبنى على هذه المغالطة نتيجة جد مكشوفة البهتان والإفك، لم يقل بها أهل الكتاب عندنا، ولا من دونهم بما لا يقاس بهم من طوائف الشذاذ والمنحرفين والماديين، فيقول: وبالقدر نفسه ترد هذه الثقافة المجتمع إلى القيمة الموجبة، التى ينفرد بها الأكبر عمراً، والأكثر ثروة والأرهب بأساً!! وذلك على نحو يهبط بقيمة مكانة الأقلية العرقية أو الدينية أو الفكرية أو الإبداعية - وهذا هو بيت القصيد - بالقياس إلى الأغلبية التى لا تقبل المغايرة وترفض الخروج على الإجماع(٣٣)" هذا نقد لمجتمع قبلى لا وجود له على أرض الواقع، وليس لمجتمع إسلامى يتفيأ ظلاله كل يوم عن اليمين والشمائل - آلاف من الأوربيين وغيرهم - سجداً لله وهم داخرون. وعلى كل حال فلم نشاهد هذا الفكر أو الإبداع والخلق، الذى يتحدث عنه صاحبنا، وإنما شاهدناهم فقط قلة، ولكنها قلة لا تحسن البناء بقدر إجادتها وتجويدها لأساليب الهدم والشك والحيرة والضياع، وهذه أيضاً بعض مداخلها.

"هوامش المقدمة والفصل الأول"

(١) الزمر آية : ٧٥.

(٢) انظر : الإسلام دعوة عالمية "ومقالات أخرى" تأليف : عباس محمود العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ١٧٣.

(٣) انظر: مدينة النور تأليف: أحمد عبد المعطى حجازى "الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ٨٩.

(٤) انظر تزييف الوعى تأليف: فهمى هويدى، دار الشروق، ط ثانية، القاهرة، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢م، ص ٦٩.

(٥) راجع كتاب: المفترون خطاب التطرف العلمانى فى الميزان تأليف: فهمى هويدى، دار الشروق، ط أولى، القاهرة، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، ص ٢٥٩، ٢٦٠.

(٦) انظر: الإنسان والحضارة فى العصر الصناعى تأليف: الدكتور/ فؤاد زكريا، مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة ، ١٩٥٧م، ص ١٥٢.

(٧) انظر: الإسلام فى الفكر الغربى "عرض ومناقشة" تأليف: الدكتور محمود حمدى زقزوق، دار القلم، الكويت، ط ثالثة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م، ص ١١، ١٢.

(٨) الشعراء آية : ١٩٥.

(٩) أصول النقد الأدبى تأليف: أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ثامنة، ١٩٧٣، ص ٨، وقارن بزهر الآداب وثمر الألباب لأبى إسحاق إبراهيم بن على الحصرى تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط رابعة، بدون تاريخ، ج١/١٥٩ وما بعدها.

(١٠) انظر: قطوف أدبية دراسات نقدية فى التراث العربى حول تحقيق التراث تأليف: عبد السلام محمد هارون، مكتبة السنة، القاهرة، ط أولى ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، ص ١٦١.

(١١) انظر: وحى الرسالة تأليف أحمد حسن الزيات، دار الثقافة بيروت، ط عاشرة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥، ج٤/١١٥.

(١٢) المصدر السابق، ج٤/١١٦.

(١٣) الفصحى لغة القرآن بقلم أنور الجندى، دار الكتاب اللبنانى، بدون تاريخ، ص ١٦٦.

(١٤) وبرغم هذا ما يزال أحد الشوارع فى حى الزمالك يحمل اسمه.

(١٥) انظر: نحو وعى لغوى تأليف : مازن المبارك، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م، ص ٤٩، ٥٠.
(١٦) المصدر السابق، ص ٤٩.
(١٧) قطوف أدبية تأليف عبد السلام هارون، ص ١٥٩.
(١٨) انظر: حصوننا مهددة من داخلها تأليف: الدكتور محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الحادية عشرة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م، ص ١٨٩، ١٩٠.
(١٩) تاريخ آداب العرب تأليف مصطفى صادق الرافعى، دار الكتاب العربى، بيروت، ط رابعة، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م، ج١/٢٢.
(٢٠) إبراهيم آية : ٤.
(٢١) تاريخ آداب العرب تأليف مصطفى صادق الرافعى ج١/٢٢.
(٢٢) انظر: الشعوبية وأثرها الاجتماعى والسياسى فى الحياة الإسلامية فى العصر العباسى الأول تأليف الدكتور زاهية قدورة، المكتب الإسلامى، بيروت، ط أولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م، ص ٢٠.
(٢٣) انظر: الإسلام والحضارة الغربية تأليف محمد كرد على ج١/٣٤.
(٢٤) الحجرات آية : ١٣.
(٢٥) الشعوبية للدكتورة زاهية قدورة، ص ٢١.
(٢٦) انظر: الإلحاد فى الإسلام تأليف الدكتور عبد الرحمن بدوى، مصر ١٩٤٥، ص ٢٣، ٢٤.
(٢٧) الشعوبية للدكتورة زاهية قدورة، ص ١٢٧، ١٢٨.
(٢٨) انظر: كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٣م، ج٦/٣٩.
(٢٩) الفصل فى الملل والأهواء والنحل للإمام ابن حزم الظاهرى، مكتبة السلام العالمية، القاهرة، بدون تاريخ، ج٢/٩١.
(٣٠) الإسلام والحضارة العربية تأليف محمد كرد على ج١/٦٣ وما بعدها.
(٣١) المصدر السابق، ج١/٣٥.
(٣٢) انظر: الإسلام وخرافة المواجهة الدين. والسياسة فى الشرق الأوسط تأليف فريد هاليداى ترجمة: محمد مستجير، القاهرة، ط أولى، ١٩٩٧، ص ١٩.
(٣٣) انظر: مواجهة الإرهاب قراءات فى الأدب المعاصر تأليف الدكتور جابر عصفور، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣، القاهرة، ص ٤٢، ٤٣.

الفصل الثانى

العلمانيون وإحلال العامية محل العربية والرد عليهم

وتحته مباحث: المبحث الأول: "أول من نادى بالعامية"

بداءة أقول: لا أعدك أن أستوفى هذه الجوانب الثلاثة - التى سبق ذكرها وهى موضوع هذا البحث - حظها وحقها من البحث والنظر، وتقديمها مستكملة الجوانب، مستوافاة الشروط والضوابط، ومحلاة بالشواهد والأمثلة، فهذا شئ يترك لأهله من المتخصصين فى اللغة وفقهها، والأدب وميادينه، والشعر وفنونه، وكذلك لا تحتمه طبيعة هذا البحث. ولكن الذى لا أستطيع إغفاله بحال، هو الوقوف على المصادر والمنابع الأولى لهذه التوجهات والانحرافات الخطيرة، التى تقطع الصلة بيننا وبين كتاب ربنا، وعلى الأخص ما تهدف إليه هذه التوجهات، وإلى أين تقودنا؟!! وما يترتب عليها من نتائج وخيمة عبر المستقبل القريب أو البعيد.

وأقول أيضاً : ثبت لدينا أن العلمانيين لم يكونوا رواداً فى شئ، أو بمعنى آخر ليس عندهم ملكة الخلق والإبداع، ولا روح البحث العلمى الدءوب الذى يقود صاحبه ولو إلى الخطأ فى الاستنتاج، وتبقى له محاولته التى يحمد عليها!! ولكن المؤكد أنهم نقلة ومترجمون فقط لأسوأ مدارس الغرب الفكرية، التى تتسم بالانحراف والشذوذ الفكرى، ولا تجد رواجاً لبضاعتهم المزجاة، أو أسواقاً لعرض سقط متاعها، أو تجاوباً لأصدائها إلا عند هؤلاء فقط، وربما لو أنك جمعت كل هذه الأطروحات التى تقدم بها العلمانيون، ثم عرضوها على الساحة العربية والإسلامية، وهم يعملون جهدهم بكل وسائلهم المتاحة - وما أكثرها - على إذاعتها وإشاعتها فى الناس، وكأنها من الحقائق المسلمة، لو أنك نظرت إلى أصولها ومنابتها وجذورها؛ لألفيتها غريبة الأصل والمنبت والتربة، فأجواؤنا لا تساعد على نموها ونضجها إنما مناخها الطبيعى هناك فى الغرب، حيث نشأت لتبقى أو تزول، فهى ليست بذات قيمة عندهم، فكيف يكتب لها البقاء عندنا؟!! ومن ذلك ما نحن بصدده الآن، يقول الدكتور محمود الطناحى: لا أرضى لك أن تصدق ما يقولونه من أن لغتنا العربية، هى لغة الخيل والليل والبيداء، وأن زمانها قد ولى؛ وذلك لأن حسن البيان قيمة جمالية، والقيم الجمالية باقية وثابتة لا تتغير بتغير الأيام، وتبدل الأحوال[1]"، ولكن العلمانيين كما يقول: "أوليفرجولد سميث":

كالكرمة الرفيعة تلف نفسها حول شجرة البلوط القوية، لا لسبب آخر فى الدنيا سوى أنها عاجزة عن صلب عودها بقوتها الذاتية[٢]".

وقد حمل لواء تمصير اللغة العربية أحمد لطفى السيد "أستاذ الجيل" وأخفى غرضه تحت ستار: اللقاء بين الفصحى ولغة الكلام، وفى خلال ذلك أثار الشبهات المتعددة ووصل إلى غرضه كاملاً، ومدح العامية وقال: إنها لا ينقصها إلا أداة التعريف[٣]، ولقد تصدى له مصطفى صادق الرافعى وغيره، يقول الرافعى: نريد بهذا التمصير ما ذهبت إليه أوهام قوم فضلاء، يرون أن تكون هذه اللغة التى استحفظوا عليها مصرية بعد أن كانت مضرية... فلا سبيل لتمصير العربية؛ واعتبار هذه المصرية أصلاً لغوياً مجمعاً عليه إلا بتمصير الدين الإسلامى، الذى تقوم عليه هذه العربية، فإن بعض ذلك سبب طبيعى إلى بعضه، فمن كشف لنا عن الوجه الذى يكون به الدين مصرياً وطنياً، وبصرنا بأسباب ذلك ونتائجه، قلنا له: أخطأنا وأصبت"(٤)، ولكن الشائع فى طبقات المثقفين، أن أول من نادى بإحلال العامية محل العربية، هو عبد العزيز فهمى باشا، وكان أصل اقتراحه، كتابة العربية بالحروف اللاتينية، وتقدم به إلى المجمع اللغوى، وجاء فى بعض فقراته بالنص: "لاشك عندى أن حضرات المستشرقين من بريطانيين وفرنسيين وإيطاليين وألمان وأمريكيين يعجبون منا نحن الضعاف الذين يطأطئون كواهلهم أمام تمثال اللغة لحمل أوزار ألف وخمسمائة سنة مضت" ثم يقول: "مع سريان التطور فى مفاصلها - أى مفاصل اللغة - وتحتيتها فى عدة بلاد من آسية وأفريقية إلى لهجات لا يعلم عددها إلا الله، لم يدر بخلد أية سلطة فى أى بلد من تلك البلاد أن يجعل من لهجة أهله لغة قائمة بذاتها، لها نحوها وصرفها، كما فعل الفرنسيون والإيطاليون والأسبان، أو كما فعل اليونان(٥)..." وقوبلت هذه الدعوة بالرفض والاستهجان من قبل الغيورين على دينهم ولغتهم وقرآنهم، وظن حسنوا النية أن هذه الدعوة الخبيثة وئدت فى مهدها، ولكن المتربصين بالقرآن واللغة احتضنوها وقاموا على رعايتها، ونفخوا تحت رمادها حتى تأججت واستعرت، وقد كانت فى أول أمرها كما قال الدكتور شوقى ضيف: أما العامية فسرعان ما خرجت من بيئة الأدب والأدباء إلى بيئة الفكاهة وصحافتها الهزلية، فظلت تعيش فيها حتى عصرنا الحاضر(٦)، ولكن هذه الدعوة وجدت من يناصرها لأغراض لا تخفى على أحد، يقول سلامة موسى: يجب ألا يكون للمجتمع لغتان، إحداهما كلامية؛ أى عامية، والأخرى مكتوبة؛ أى: فصحى، كما هى حالنا الآن

فى مصر وسائر الأقطار العربية؛ لأن نتيجة هذه الحال أن اللغة المكتوبة تنفصل من المجتمع، فتصبح كأنها لغة الكهان، التى لا تتلى إلا فى المعابد...(٧)"، ويعلق الدكتور بدوى طبانة على ذلك بقوله: وهدف هذا هو محو هذه اللغة العربية الفصيحة، الجامعة لأبناء العروبة فى كل مكان؛ لأنه يعلم تمام العلم أنها العلقة الأكيدة، والرباط المقدس الذى يضم شتات الأمة(٨) ويقول محمد كرد على: كذلك يقال فى دعوة العرب إلى ترك لغتهم والاعتماد على اللغة العامية، كأن ما حفظه هو لم يحفظه العرب، هو يريد أن يمزق شمل العرب، ويأتى على رابطتهم اللسانية فيحلها جملة واحدة كما انحلت رابطتهم السياسية. ولغة القرآن هى التى حملتهم كل هذه المدة على كثرة ما لاقوا من عنت الدولة الشرقية الإسلامية، ومن عنت الدول الغربية النصرانية(٩).

المبحث الثانى - طبيعة العامية تمنعها أن تحل محل الفصحى

ذلك أن اللغات العامية فى الأقطار الإسلامية والعربية هى مزيج من اللغة العربية واللغات الأعجمية، وهى خاضعة للبيئات التى تكون فيها - كما يقول الباقورى - فالعنصر العربى فيها أظهر إذا كانت فى بيئة عربية، والأعجمى أظهر إذا كانت فى بيئة أعجمية وفى الشام ومصر والسواد لغات كثيرة فيها الألفاظ الأعجمية من فارسية ورومية وقبطية ونبطية. وقد اختلفت لهجات هذه اللغات أيضاً فى كل الأمصار، ففى الشام لهجة، وفى مصر لهجة، وفى المغرب لهجة، بل لقد اختلفت لهجات القطر الواحد، بحيث إن فى مصر لهجات متخالفة(١٠)، ثم إن العامية ينقصها الضبط والإحكام - كما يقول المازنى - وهى ليست لغة واحدة - حتى فى مصر - بل لهجات شتى تختلف وتتقارب وتتباعد، تبعاً للإقليم، وليس لها ثبات واستقرار على حال... ومن الحمق ولا شك أن يؤثر أحدنا عامية لا قواعد لها ولا أصول ولا أحكام ولا تاريخ ولا ثبات، وأحمق الحمق أن تجرى وراء لغة تفر منك إلى ما تفر أنت منه(١١).

المبحث الثالث - أصل فكرة الدعوة إلى العامية

ليت أن صاحب فكرة إحلال العامية محل العربية من هؤلاء الذين يصخون أسماعنا ليل نهار بكلمات جوفاء خالية من كل معنى عندهم، من أمثال: الخلق والإبداع والابتكار والتفكير الحر، والتجديد والتقدم، برغم أنهم أقاموا الدنيا لهذه الفكرة الخبيثة، ولم يقعدوها، ثم تبنوها وقدموها للناس على أنها من بنات أفكارهم، ومن تلقيح عقولهم، وقد خلصوا إليها بعد طول تأمل وأناة ونظر!! هكذا خيل إلى الأغرار من هذه الأمة، أو

هكذا ألبسوا عليهم وزينوا لهم، ولكن ثبت أنهم بنجاة من ذلك كله،وليس لهم من دور فى ذلك كله إلا دور المهرج على المسرح، فى مسرحية هزلية هؤلاء أبطالها. وتحكى دور سفيه، آلت إليه – عن طريق موت مورثه – ثروة طائلة، لا يعرف قيمتها، ويتصرف فيها تصرفاً طائشاً بحمق ورعونة، فى إشباع رغباته ونزواته المحرمة، فإن ترك وشأنه هلك، وهلكت معه هذه الثروة العظيمة، والتى هى ليست ملكاً خالصاً له وحده دون سائر الورثة، فالعقل يقضى بأن نقيم على تصرفاته ولياً حتى يزول عنه سفهه؟!! ونقصد بذلك أن اللغة ليست ملكاً للعلمانيين وحدهم يقول الدكتور رمضان عبد التواب: وليعرف أبناء اللغة العربية أن محاولة رفع مكانة العاميات لتحل محل اللغة الأدبية، إنما هو شعار مدرسة ضالة فى أمريكا!! لم يرض عنها جمهرة علماء اللغة فى العالم، وهذا هو "ماريو پاى" يرد عليهم فيقول: "شق الجيل الجديد من اللغويين فى أمريكا عصا الطاعة على النحو التقليدى، وبدءوا يدعون للمبدأ الذى ينادى بأن الصيغة التى يستخدمها الناس، هى الصيغة اللغوية الصحيحة. وقد صار شعار هذه المدرسة : إن اللغة الحقيقية، هى اللغة التى يستخدمها الناس فعلاً، لا اللغة التى يعتقد بعضهم أن على الناس أن يستخدموها(١٢)" فهذا هو أصل فكرتهم فى العامية !!.

المبحث الرابع – الهدف الحقيقى من إحلال العامية محل العربية

لعلك ترى معى أن هذه الدعوة بحسب ظاهرها على الأقل توحى بنوع من التخفيف عن قراء العربية، والتخفف من قيود هذه اللغة، ومصطلحاتها، وقواعدها، وكذلك استبدال ألفاظها التى تحتاج إلى غير قليل من مقاساة التعلم والتمرس، كسائر العلوم – بألفاظ يستعملها الناس، كل الناس فى حياتهم اليومية، دون معاناة شئ من ذلك. وإلى هذا القدر من عرض هذه الفكرة، نكون قد أسقطنا من حساب العلم علماً من العلوم، وهو علم اللغة بكل فروعه، وعفينا على آثاره. ولا ننسى أن نكون أيضاً قد مهدنا بذلك إلى أن نمزق أواصر التعارف، ونقطع وشائج التفاهم، وقصمنا ظهر وحدة اللغة، التى تجمع شتات من ينطقون بلغة الضاد فى العالم العربى، بل وفى داخل كل دولة من دوله. وهذا هدف استعمارى، استعصى على المستعمر تحقيقه – رغم كل محاولاته – ولكن ينوب عنه العلمانيون فى درك هذه الطلبة، وتحقيق هذه الغاية!! ولكن الأدهى من ذلك كله أنهم جعلوا قضية هدم اللغة الأدبية، ليس غاية فى ذاتها، ولكنها وسيلة إلى ما هو أكبر منها، وهو القضاء على الإسلام ذاته، وذلك عن

طريق عزله عن حياة الناس العامة والخاصة جميعاً، وذلك لا يتحقق إلا بحجب اللغة التى ينطق بها، ويردها من خلفه ما ينيف على ربع أو سدس سكان العالم من المسلمين، ولقد بلغ من خبث بعض دعاة العامية فى الوطن العربى، أن زعموا أن العامية شكل صحيح من أشكال الفصحى – كما يقول الدكتور رمضان عبد التواب – وأن استخدام العامية لن يقطع الصلة بيننا وبين الفصحى. ولقد كذبوا فى هذا وزيفوا وضللوا؛ فهم يعرفون تماماً أن اللاتينية مثلاً كانت هى اللغة الأدبية فى إيطاليا وفرنسا وأسبانيا – فى العصور الوسطى – وكانت العاميات المنتشرة فى هذه البلاد، هى اللهجات الإيطالية والفرنسية والأسبانية – وهى عاميات لاتينية تشبه العاميات العربية فى صلتها بالفصحى – وقد أدى استخدام هذه العاميات إلى موت اللغة اللاتينية الأم وانسلاخ العاميات عنها، وتكون لغات بديلة لها، وهى اللغات الإيطالية والفرنسية والأسبانية، وهذا هو ما يريده دعاة العامية(١٣).

وإذا كان هدف العلمانيين يطمح إلى هذه النتيجة، وهى فصل هذه اللهجات المحلية عن اللغة الأم، بحيث تصير لهجة المصريين لغة لهم، وكذلك باقى اللهجات العربية لغات لبلادها. ومع تقدير تعاسر ترجمات هذه اللهجات الثقيلة والرديئة إلى لغات مفهومة، فإن هذا التعاسر بعينه هو الضمان الاكيد فى قطع آخر خيط يربط بين أى بلد عربى وآخر، وهذا القدر يكفى فى ميدان اللغة. وأما فى ميدان الدين، فإن الأمر أيسر بكثير – إذا تحقق الأمر الأول لا قدر الله – فقد سأل بعض الناس، من تزعم هذه الدعوة، على خطرها على القرآن والسنة؟ فقال له: "ها أنت ذا ترى فيما أسلفت ما يطمئنك على بقاء القرآن والحديث مكتوبين بالرسم الحالى، فلن يندرس هذا الرسم، بل سيكون له دائماً من رجال الدين وطلبة المعاهد الدينية، من يقرؤونه ويحافظون عليه، أن يؤدوا لنا فى المستقبل عمل المستشرقين – !! – ويحلوا لنا رموز ما لم يطبع بالرسم الجديد من قديم الكتب والمؤلفات(١٤)"، ومعنى هذا أن تكون اللغة العربية الفصحى، هى لغة رجال الدين المتخصصين فقط، يعلمونها طلبة المعاهد الدينية وحسب؛ لأن هذه اللغة – بإجماع الآراء – هى السبيل الوحيد لفهم الكتاب والسنة، والكتب المؤلفة فى خدمة هذا الغرض، ولا يتجاوز مدى اللغة هذا الغرض السابق، حتى تموت فى أنفس أصحابها، ويفنى القائمون عليها. ثم تنشأ ناشئة ولغتهم الرسمية هى اللغة الدارجة، لا تربطهم باللغة الأم أى رابطة!! اللهم إلا إذا أراد أحدهم أن يفهم نصاً من الكتاب، أو السنة، أو

اللغة التى كتب بها التراث الإسلامى، فإنه يرجع حينئذ فقط إلى رجل الدين؛ ليشرح له هذا النص، الذى أصبح غريباً عنه، أليس من لغة أخرى لا يعرفها ولم يدرسها!! فانظر إلى أى مدى يريد هؤلاء العابثون أن يصلوا بنا إليه. ولكن ليس فى الإسلام هذا الكهنوت، وإنما هو دين ميسر وبين، أوضح من نور الصباح، وأجلى من رابعة النهار، وأرق من نسيم الصبا، وأغدق من العذب الزلال، وهو عقيدة وشريعة، وسياسة واقتصاد واجتماع، وهو دين العقل والعلم والفكر والنظر، وهو دين ودولة ومعاملات وسلوك وآداب، فلا يقاس بغيره من الأديان، فهو دين عالمى ولغته عالمية، فلا تناظر باللاتينية أو غيرها، ولكنه الشذوذ الفكرى، والانحراف العقائدى، والتقليد الأعمى للغرب حتى فى تجاربه الفاشلة، وفى كبواته وإخفاقاته المريعة. وحتى يتسنى لهم أيضاً عزل الإسلام وأدواته - واللغة من أدواته - عن الحياة العامة - كما عزلت المسيحية ولغتها - التى لم يحققوا فيها نجحاً أو فلاحاً أو تقدماً يذكر، بعيداً عن الإسلام!!

المبحث الخامس - وشهد شاهد من أهلها

يقول أحد العلمانيين:وكانت اللاتينية هى لغة الكنيسة الكاثوليكية حتى فى البلاد الأوربية، التى كانت تتكلم لغات لا علاقة لها باللغة اللاتينية، كألمانيا وهولندا وإنجلترا والسويد، ولم يكن هذا الوضع غريباً فى نظر الكنيسة، التى كانت ترى أن الكاهن وحده،أو الراعى، هو صاحب الحق فى أن ينطق اللغة المقدسة، أما خرافه أو رعيته، فتثغوا بلغاتها ولهجاتها الدارجة كما تشاء، إذ لا حق لها فى أن تقرأ نصاً أو تجتهد فى تفسيره. ومن هنا كانت ترجمة "مارتن لوثر" للإنجيل من اللاتينية إلى الألمانية فى القرن السادس عشر، ثورة هزت أوربا،وساعدت فى إخراجها من ظلام العصور الوسطى إلى أنوار العصور الحديثة (١٥)"، وبرغم هذا الاعتراف المثير بفشل تجربة إحلال العامية محل اللغة الأدبية، إلا أنهم لم يكفوا عن بذل أقصى الجهود فى محاربة اللغة العربية، وبمختلف الوسائل المشروعة وغير المشروعة، حتى نبتت شجرة الكراهية للغة العربية، بل وبسقت واستوت وآتت بعض أكلها من ثمارها المرة، وقد تمثل هذا فى أن اللغة العربية باتت فى عصرنا الراهن تترنح تحت وطأة هذه الجراح التى تثخن بنيانها من كل جانب، وليس ذلك آية على بلوغها مرحلة الكهولة أو الشيخوخة، بل ما تزال فى ريق الشباب وعنفوان الصبا - كما هو معلوم - وآثار هذه الحروب شاهدة، بل ماثلة

وفاشية فى أوساط المثقفين فى مختلف الطوائف، وكذلك فى القائمين على وسائل الإعلام المختلفة من إذاعة وتلفاز وصحافة، فى صورة مزرية ومخجلة، بل وتتخلل أعمال بعض كبار المفكرين والأدباء والشعراء والساسة والفلاسفة وكأن اللغة العربية ليست لغتهم ، ولغة آبائهم وأجدادهم وقوميتهم ، وكتابهم ، تلزمهم بالإقبال عليها ورعايتها ، أكثر من عنايتهم باللغات الأجنبية الأخرى ، التى يجيدونها أكثر من إجادتهم للغة بلادهم !!.

المبحث السادس - اللغة العربية مدينة للقرآن الكريم بحياتها وازدهارها وبقائها إلى اليوم

اللغة العربية قبل القرآن والسنة لم تكن تدور إلا فى نطاق محدود، بين العراق والحجاز شرقاً وغرباً، وتخوم الروم وبلاد اليمن شمالاً وجنوباً، فلما جاء الإسلام ونزل القرآن امتد نطاق اللغة إلى بلاد الصين شرقاً، والمحيط الأطلسى غرباً فى مدة لا تتجاوز القرن الأول الهجرى(١٦) بعد أن وحدهم الإسلام، فأصبح المسلمون بقوة القرآن أمة متوحدة فى لغتها ودينها وشريعتها وسياستها، ولولا القرآن - كما يقول فيليب دى طرازى - لظل أهل كل بلد من البلدان التى انضمت للإسلام، ينطقون بلهجة يستعجمها؛ أهل البلد الآخر. وقد حفظ القرآن التفاهم بالعربية بين الشعوب الإسلامية وبين العرب، واتجه المسلمون من غير العرب يرتلونه بلغته العربية ويحافظون على تجويده، ويشرحونه لأبناء لغاتهم، وتلك مزية تفرد بها القرآن ، دون غيره من الكتب المنزلة. فالتوراة مثلاً لا يقرأها بلغتها العبرية إلا أحبار اليهود، ونفر ممن تفرغوا لدرسها. أما سائر اليهود فيقرءونها بلغات سكان البلاد التى يعيشون فيها. وكذلك الحال مع كل المسيحيين فى أنحاء العالم بأسره، فإنهم يقرأون الكتاب المقدس مترجماً، فلا يقرأه بلغاته الأصلية أعنى بالعبرية والسريانية واليونانية إلا العلماء فقط، وفئة من نصارى الشرق الأدنى، وفريق من نصارى الملبار فى الهند(١٧)، ويقول الدكتور عمر فروخ: نحن نقرأ القرآن الكريم اليوم باللفظ والصوت والأداء والوصل والفصل والوقف، التى كانت فى أيام الرسول لا نخل بلفظة أو كلمة، أو حرف من حركة، أو همسة، أو نبرة. بهذه العناية البالغة بالقرآن الكريم عاشت اللغة العربية الفصحى، حتى أصبح القرآن سوراً للغة يدفع عنها كل أذى، ويود عنها كل عادية(١٨). ولقد أثر القرآن أيضاً فى الشعر الجاهلى، فلم يستبق منه غير ما كان بلغة قريش، والأشعار الباقية هى التى تساير القرآن من

الوجهة اللغوية والنحوية، ولولا القرآن لظل الشعر مختلف الصيغ والأوزان والأشكال. والقرآن - كما يقول زكى مبارك - هو الذى ساق العرب على اختلاف قبائلهم ومواطنهم ولهجاتهم فى تيار واحد. بحيث لم يبق من ماضى الجاهلية غير ما أراد القرآن أن يعيش(١٩)، ولكن القرآن الكريم أضاف إلى اللغة أضعاف أضعاف ما حذف منها، بله بما لم يمكن وصفه، أو يقع تحت حصر. ومن ذلك ما يسمى بالألفاظ الإسلامية كما يقول ابن فارس: كانت العرب فى الجاهلية على إرث من إرث آبائهم فى لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم، فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام، حالت أحوال ونسخت ديانات وأبطلت أمور. وتفلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخرى، بزيادات زيدت، وشرائع شرعت وشرائط شرطت، فعفى الآخر الأول، فكان مما جاء فى الإسلام ذكر المؤمن، والمسلم، والكافر، والمنافق...إلخ(٢٠)"، ومن هذا الضرب ما إستحدثه أهل العلوم والصناعات من الأسماء ، كمصطلحات والفقه والنحو والعروض وغيرها، مما يكون لها اسمان: لغوى وصناعى، والأصل فى جميع ذلك الألفاظ الشرعية التى نقلها النبى ﷺ من اللغة إلى الشرع، ومنها ألفاظ خاصة بالمتكلمين والرياضيين والفلكيين والأطباء والفقهاء والصوفية وغيرهم، وقد أفردت لها معاجم خاصة بشرحها: مثل "التعريفات للجرجانى" وكشاف إصطلاحات العلوم "للتهانوى" وكليات "أبى البقاء" وغير ذلك(٢١). وليست ثمة حاجة إلى القول بإن أثر القرآن فى اللغة ما كان مقصوراً على التوسع فى مدلولاتها، أو نقلها من معانيها إلى معان أخرى لسبب من الأسباب، وإنما تعدى ذلك إلى خلق ألفاظ لم تكن معروفة فى العهد الجاهلى(٢٢)، يضاف إلى هذا أننا نجد أن لغات الشعوب التى اعتنقت الإسلام قد غمرها القرآن منذ البداية بسيل من الألفاظ العربية، يتكون من العبارات الفنية المتعلقة بالدين والفقه وغير ذلك(٢٣)، ولم يتوقف عطاء القرآن للغة عند الألفاظ وحسب، بل إلى المعانى أيضاً التى أتى بها هذا الدين(٢٤)، فإذا أضفنا إلى ما سبق ظاهرة التأليف باللغة العربية التى بدأت فى أول أمرها؛ لتخدم القرآن الكريم والسنة النبوية، فى سرعة مذهلة، بأقلام المسلمين من العرب والأعاجم، ثم تطورت إلى خدمة العلوم الكونية والعلوم السياسية والتنظيمية والتاريخية، التى اقتضتها سياسة الحكم الإسلامى؛ لتنظيم الإدارة وجباية الخراج، وما استتبع ذلك من التأليف فى علوم الجغرافيا وتاريخ الشعوب التى أظلها الإسلام. والناظر فى بعض التصانيف مثل كتاب: كشف الظنون لحاجى خليفة،

يدرك أن هذه العلوم جاوزت فى العدد مئات من فروع العلوم المختلفة(٢٥).

المبحث السابع - أسباب انتشار اللغة العربية

ربما لا تجدنى أبرز لك أسباب إنتشار اللغة العربية وأظهرها إظهاراً - إعتماداً على فطنتك أيها القارئ الكريم - وإنما اضمنها معاقد الكلام فى هذا الميدان ؛ نظراً لكثرتها ووضوحها ، وتداخلها ، حتى لكأنها تشبه منظومة متكاملة. ثم إن القول بأن اللغة العربية كانت سبباً فى انتشار الإسلام، قول يعوزه الدليل ويحيطه التحفظ، فالإسلام إنما انتشر بمبادئه وأصوله الفطرية السليمة، يدل على ذلك هذه الملايين المسلمة التى لا تعرف من العربية قليلاً ولا كثيراً(٢٦) بل سارت اللغة العربية، بحكم ما اكتسبته من القرآن؛ مع الفاتحين تخضع إلى سلطانها كل لغة فى كل بلد، حتى أصبحت فى عصر بنى العباس، وهو عصرها الذهبى، لغة الدين والأدب والعلم والسياسة والإدارة والحضارة فى أكثر الدنيا(٢٧)، ولقد بلغ من سلطان هذه اللغة بفضل القرآن أن محت اللغة القبطية فى مصر، التى كانت تطوراً من اللغة المصرية القديمة فى زمن وجيز، وأن تقضى على لغة القرطاجيين وغيرهم فى شمالى إفريقية وعلى لغة النبط فى شمالى العراق، وأن تقلص ظل اللغة الرومية من الأطراف الشمالية لبلاد الشام(٢٨)، فإن العربية بحلاوة جرسها، وبلاغة أسلوبها، وغنى أدبها، وقداسة ماضيها، وما تحمله من معانى هذا الدين ساعدها على غزو القلوب والعقول بعكس اللاتينية والتركية، فإن الرومان كان لهم إمبراطورية غزت الشرق والغرب، وخلافة بنى عثمان غزت الشرقيين الأدنى والأوسط، ومع ذلك ظلت اللاتينية والتركية لا تتجاوزا الإدارة والجيش، ولا تتعداهما إلى البيت والسوق(٢٩). ويقول محمد كرد على: بذت العربية فى الإسلام اللغة الفارسية والسريانية فى العراق وفارس، والرومية والسريانية فى الشام، والقبطية والرومية فى مصر، واللاتينية فى شمالى إفريقية، ولم تمض سبعون سنة حتى أصبحت العربية اللغة العامة فى هذه الأقطار(٣٠)، والسبب فى ذلك كما يقول ابن خلدون: لما هجر الدين اللغات الأعجمية،وكان لسان القائمين بالدولة الإسلامية عربياً هجرت كلها فى جميع ممالكها؛ لأن الناس تبع للسلطان وعلى دينه، فصار استعمال اللسان العربى من شعائر الإسلام، وطاعة العرب. وهجر الأمم لغاتهم وألسنتهم فى جميع الأمصار والممالك، وصار اللسان العربى

لسانهم، حتى رسخ ذلك لغة فى جميع أمصارهم، وصارت الألسنة الأعجمية دخيلة فيها وغريبة(٣١).

أسباب أخرى لانتشار اللغة العربية واكتمالها

ومما ساعد على انتشار العربية؛ كون الصلاة بها فرضاً على كل أعجمى انتحل الإسلام، فالأعجمى يسلم ويتقرب - كما يقول محمد كرد على - وإذا لم يسلم تضطره الحال إلى تعلم لغة الدولة القائمة - كما سبق - ثم إن هذا اللسان على سعته وسلاسته لم يقف ولم يجمد، فنقل ألفاظاً من الفارسية والرومية والسريانية والعبرانية والحبشية والقبطية والهندية، وترك ألفاظاً عربية كانت مألوفة له فى عصر الجاهلية، واصطلح على كلمات عربية كانت تؤدى معانى أخرى قبل الإسلام، وسعى العرب منذ كانت البلاد فى طاعتهم، أن يجعلوا العربية لغة علم، كما هى لغة دين وأدب وسياسة. أضف إلى ذلك أن العرب لم يكونوا يأبون استعمال القبطى والفارسى والرومى والأسبانى والكاتالانى والبروفنسالى والبرتغالى والإيطالى؛ فأخلص أهل الذمة القصد للمسلمين، فعاشوا فى ظل دولتهم الجديدة مغتبطين، وتعاون الكافة فكانت هذه المدنية الباهرة(٣٢). وقد ارتبط ازدهار اللغة وانتشارها بقوة الدولة الإسلامية وحيويتها ونمائها، إلى أن أصبحت العربية فى النصف الثانى من القرن الثامن للميلاد لغة العلم عند الخواص فى العالم المتمدن، وحافظت على تفوقها وتصدرها فى المرتبة الأولى بين جميع الألسن الأخرى إلى آخر القرن الحادى عشر على أقل تقدير، بل أصبحت دولة العرب ذاتها مدة ثلاثمائة سنة، الدولة الحية الوحيدة دون سائر الدول المعاصرة لها فى العالم أجمع، وكادت لغتها العربية أن تكون هى أيضاً لغة دولية(٣٣). ولقد عجب "رنان" من كمال اللغة العربية فقال: "من أغرب ما وقع فى تاريخ البشر وصعب حل سره، انتشار اللغة العربية. فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ بدء، فبدت فجأة على غاية الكمال، سلسة أية سلاسة، غنية أى غنى، كاملة بحيث لم يدخل عليها منذ ذلك العهد إلى يومنا هذا أدنى تعديل مهم، فليس لها طفولة ولا شيخوخة، ظهرت لأول أمرها تامة مستحكمة، ولا أدرى هل وقع مثل ذلك للغة من لغات الأرض، قبل أن تدخل فى أطوار أو أدوار مختلفة" (٣٤)، ويكفى هذه اللغة أن كانت لغة الدول ذوات العلاقة بالشرق الإسلامى قرابة ألف سنة. ولا غرابة فى هذا، يقول ابن حزم: "إن اللغة يسقط أكثرها وتبطل بسقوط دولة أهلها، ودخول غيرهم عليهم فى أماكنهم، فإنما يفيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها

قوة دولتها ونشاط أهلها، وأما من تلفت دولتهم، وغلب عليهم عدوهم، واستقلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم، فمضمون منهم موت الخاطر، وربما كان ذلك لشتات لغتهم، ونسيان أنسابهم وأخبارهم، وبيور علومهم. هذا موجود بالمشاهدة، ومعلوم بالعقل ضرورة"(٣٥)، وربما كان هذا الوضع ينطبق على واقعنا الراهن، بعد إنحسار حضارتنا، وذهاب دولتنا، ونكوصنا على أعقابنا مدبرين، ونحن نبحث لنا عن موضع قدم فى عالم متغير ومتطور من حولنا، لا يدع لنا سانحة لالتقاط الأنفاس، للنظر فى ماضينا التليد؛ لنأخذ منه ما يصلح لأن نؤسس عليه غدنا المشرق، الذى يضمن لنا موقعاً متميزاً بين عالم اليوم المتحضر، حتى يصل بنا إلى ما ننشده من بناء حضارتنا من جديد، وتشييد صرحها، وبعث روحها الخلاقة والوثابة، على أساس من العدل والحق والخير والجمال. وإلى غاية سداها ولحمتها، هى نشر راية السلام عالية خفاقة فوق ربوع العباد والبلاد. ثم إننا نلاحظ أنه فى حالة انكسار بعض الحضارات أو تزايلها وتهاويها إنما تبدأ بأجزائها الخارجية الضعيفة التى لا تقوم على أساس مكين، فتتساقط وتتهاوى هذه الأجزاء، وهذا التساقط أو السقوط ليس دليلاً على قوة الهزة، التى تعرض لها هذا البناء، بقدر ما هو دليل على ضعف هذه الأجزاء وهوانها!! وهذا القدر من الضعف هو الذى سمح لهذه الفئات من العلمانيين أن تعتقد فى الغرب الكمال، فتقلده فى شعاره وزيه ولغته وسائر مناحيه(٣٦) بالرغم من أن لغتنا العربية هى صاحبة السيادة على أعظم لغات العالم قاطبة، وقد أثرت فيها أكثر من تأثرها بها

المبحث الثامن - تأثر اللغات اللاتينية وغيرها باللغة العربية

نرى اليوم فى الأسبانية كثيراً من الألفاظ العربية، كأسماء البلاد والأنهار والنواحى، وبعض المرافق والمصطلحات، وكل كلمة تبدأ عندهم "بأل" التعريف العربية، هى عربية لا محالة، وقالوا : بأن ربع الأسبانية مأخوذ من العربية، كما دخلت العربية فى البرتغالية والإيطالية والفرنسية، وهى لغات الأمم اللاتينية، بل إن اللغة العربية دخلت إلى اللغات الجرمانية والسكسونية، فنجد ألفاظاً عربية فى الإنجليزية والغالية القديمة والألمانية، واللغات الجرمانية الأصل كالهولندية والإسكندنافية فى شمالى أوربا، وفى الروسية والبولندية واللغات الصقلبية الأخرى(٣٧) ولا نريد أن نعطى أمثلة على ذلك ، حتى لا يطول بنا البحث.

الأداء، وتميز الحروف والمخارج، وبين تقسيماته التى تعطل بعض الأداء، فإن الحكم فى ذلك كالحكم على كل أداة ناطقة، أو عازفة(٤٣).

٢- أضف إلى ما تقدم أن العرب يراعون فى اجتماع الحروف فى الكلمة الواحدة، وتوزعها وترتيبها فيها، حدوث الانسجام الصوتى والتآلف الموسيقى. وقد تنبه إلى ذلك قديما علماء اللغة، واستخرجوا بعض هذه القواعد الصوتية، التى راعاها العرب فى تأليف الألفاظ من الحروف، وذلك كتجنبهم جمع الزاى مع الظاء والسين والضاد والذال، والجيم مع القاف والظاء والطاء والغين والصاد(٤٤) والحاء مع الهاء، والهاء قبل العين، والخاء قبل الهاء، والنون قبل الراء، واللام قبل الشين(٤٥).

وقد تنبه إلى هذه الحقيقة أيضا العلامة ابن جنى، فقال: "أما إهمال ما أهمل مما تحتمله فسمة التركيب فى بعض الأصول المتصورة أو المستعملة فأكثره متروك للاستثقال .. فمن ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه نحو: سص، صس، وطت، وتط، وكذلك حروف الحلق هى من الائتلاف أبعد لتقارب مخارجها من معظم الحروف، أعنى حروف الفم، وإن جمع بين اثنين منها، يقدم الأقوى على الأضعف نحو: أهل وأحد وأخ وعهد، وكذلك متى تقارب الحرفان لم يجمع بينهما إلا بتقديم الأقوى منهما(٤٦).

٣- ثبات أصوات الحروف العربية، وهو من الخصائص الصوتية للكلمة العربية، ولا شك أنها لم تتبدل منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان، وتقرأ كما هى، وكما يقرأ بها القرآن الكريم. ولم يعرف مثل هذا الثبات فى حروف لغة من لغات العالم، وفى مثل هذا اليقين والجزم، ومن هنا يتبين خطأ من يقول: إن تبدل أصوات الحروف فى جميع اللغات أمر حتمى. ومنشأ هذا الخطأ أن الذين استنتجوا هذا القانون هم من علماء اللغات فى أوربا، وقد نظروا فى ذلك إلى لغاتهم، وهى كثيرة التبدل خلال العصور، وفى فترات كثيرة من تاريخها، فزعموا أن الحروف لابد أن تزحزح عن مخارجها الأصلية شيئا فشيئا قليلا، فى كل جيل، حتى إذا توالت الأجيال ازداد بعدها عن مخارجها الأصلية، فتغيرت تغيرا واضحا.. وأما الذى حافظ على تماسك اللغة العربية وثباتها إنما هو القرآن الكريم أولا وثانيا، ثم ميل العرب

بعد ذلك إلى المحافظة على ما فيه عزتهم وكرامتهم، كحفظهم لأنسابهم ومكارمهم(٤٧).

٤- قال ابن دريد: فى حروف الهجاء العربى حرفان لا يجريان إلا على لسان العرب، ولا يوجدان فى سائر الأمم، وهما: "الظاء"، و"الحاء"، ولكن خالفه بعضهم وقال : الحاء موجودة فى لغات ثلاث من الأمم وهى: السريانية والعبرانية والحبشية(٤٨)، ويقول حمزة الأصفهانى: الصاد لا تقع فى لغة الروم، كما أن الضاد لا تقع فى لغة الفرس، والذال لا تقع فى لغة السريانيين، كما أنه لا يقع فى لغة العرب لام بعدها شين، كما أنه لا يقع الذال، فى لغة الفرس فى أوائل الأسماء والأفعال، وإنما يقع فى أواخرها وأواسطها(٤٩).

فإذا تبينت لك هذه الفوارق فى بعض الحروف، بين اللغة العربية وبين غيرها من اللغات الأخرى، ثم أضفت إلى ذلك أن ثمانية أحرف لا تقع فى العربية أصلا، وإنما تقع فى سائر لغات الأمم عامة، وعلى الأخص فى اللغة الفارسية، وهذه الحروف هى:

١- الحرف الذى بين الفاء والباء، وذلك إذا قلت: "پا" يعنى: الرِّجل.

٢- الحرف الذى بين الفاء والباء أيضا، وذلك إذا قلت: "لپ" يعنى: الشفة.

٣- الحرف الذى بين الجيم والصاد، وذلك إذا قلت: "جاشت" يعنى الغذاء.

٤- الحرف الذى بين الجيم والزاى، وذلك إذا قلت : "وأث ار"(٥٠) يعنى السوق.

٥- الحرف الذى بين الكاف والغين، وهو فى أول قولك : "گاذر" يعنى القصار.

٦- الحرف الذى بين الخاء والواو، فى أول قولك: "خرشيد" يعنى الشمس.

٧- الحرف الذى يشبه الواو، فى ثانى قولك: "نَوْ" يعنى الجديد.

٨- الحرف الذى يشبه الياء فى ثانى قولك: "سير" يعنى الشبعان(٥١).

فإذا كان هذا هو الحال فى الحروف فما بالك بالكلمات والجمل والتراكيب؛ ولذلك عاب القدماء على بعض التراجمة طريقتهم فى النقل اللفظى عن اللغات الأخرى، يقول الصفدى: "وللتراجمة فى النقل طريقان: أحدهما: طريق يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصى وغيرهما، وهو

أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات العربية، ترادفها فى الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها، وينتقل إلى الأخرى كذلك، حتى يأتى على جملة ما يريد تعريبه، (٥٢) وهذه الطريقة رديئة لوجهين: أحدهما، أنه لا يوجد فى الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات اليونانية؛ ولهذا وقع فى خلال هذا التعريب كثير من الألفاظ اليونانية على حالها(٥٣)، والثانى : أن خواص التراكيب والنسب الإسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دائما، وأيضا يقع الخلل من جهة استعمال المجازات، وهى كثيرة فى جميع اللغات.

الطريق الثانى فى التعريب: طريق حنين بن إسحاق والجوهرى وغيرهما، وهو أن يأتى إلى الجملة فيحصل معناها فى ذهنه، ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها، سواء ساوت الألفاظ أم خالفتها، وهذه الطريقة أجود(٥٤).

ثم إن الأحرف الثمانية التى خلت منها اللغة العربية، وهى موجودة بباقى اللغات - المشار إليها - ليست نقصا فى العربية، ولامزية ومنقبة فى تلك اللغات، بل هى من باب الزيادة والنقصان المعيبين فى هذه اللغات، يقول أبو حاتم الرازى: فعلى هذا كل ما جاء فى لغتهم مما فيه هذه الأحرف - لا يقصد هذه الثمانية بعينها - قلبوها إلى هذه، فظهر فيها هذا النقصان القبيح(٥٥)، وولدوا أحرفا ليست بأصلية. فولدوا بين الفاء والباء حرفا، فقالوا للرجل "پای"، وللبستان "باغ" فالياء التى هى فى الرجل: حيزها بين الفاء والباء، والتى فى اسم البستان هى الباء الأصلية، وولدوا حرفا بين القاف والكاف، فقالوا للقبر: "كور" وقالوا للأعور: "كور" فالكاف التى فى اسم القبر حيزها بين القاف والكاف، والكاف التى فى اسم الأعور هى الأصلية، وهو عيب ظاهر فى لغتهم الأصلية(٥٦) تنزهت عنه لغتنا العربية !!

هوامش الفصل الثانى

(١) انظر : مستقبل الثقافة العربية تأليف الدكتور محمود الطناحى، دار الهلال، العدد ٥٨١، سنة ١٩٩٩، القاهرة، ص ١٥٢.

(٢) روائع المقال تأليف : هوستون بيترسون ترجمة: يونس شاهين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥، ص ٥٦.

(٣) الفصحى لغة القرآن لأنور الجندى، ص ١٤٨ - ١٥٢.

(٤) انظر: تحت راية القرآن تأليف مصطفى صادق الرافعى، دار الكتاب العربى، بيروت ، ط ثامنة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص ٥٤ - ٦٦.

(٥) انظر: الكتاب والسنة ومعه: الشرع واللغة تأليف أحمد محمد شاكر، دار الكتب السلفية، ط ثالثة، ١٤٠٧هـ، ص ٥٤.

(٦) انظر : الفن ومذاهبه فى النثر العربى تأليف الدكتور/ شوقى ضيف، دار المعارف، تاسعة القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٣٩٢.

(٧) البلاغة العصرية واللغة العربية تأليف سلامة موسى، المطبعة العصرية، القاهرة ١٩٤٥، ص ٤٧ وما بعدها.

(٨) البيان العربى تأليف الدكتور/ بدوى طبانة، دار المنارة، جدة، ط تاسعة، بدون تاريخ، ص ٣٧٤ وما بعدها.

(٩) الإسلام والحضارة العربية تأليف محمد كرد على ج١/٤٦.

(١٠) انظر: أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية تأليف أحمد حسن الباقورى، دار المعارف، ط رابعة، بدون تاريخ، ص ٧٥ - ٧٨.

(١١) الإسلام والحضارة العربية لمحمد كرد على ج١/٤٧.

(١٢) انظر: بحوث ومقالات فى اللغة تأليف الدكتور رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة الخانجى القاهرة، ط ثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م، ص ١٧٤.

(١٣) المصدر السابق، ص ١٧٤.

(١٤) انظر: الشرع واللغة "ضمن" الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين فى مصر تأليف أحمد محمد شاكر، ص ٦٩ ، ٧٠.

(١٥) جريدة الأهرام المصرية بعددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٣/١٠/٨ تحت عنوان الأسباب مفهومة!

(١٦) قطوف أدبية تأليف عبد السلام هارون، ص ١٥٩.

(١٧) الفصحى لغة القرآن لأنور الجندى، ص ٣٢.

(١٨) المصدر السابق، ص ٣٤.

(١٩) انظر: النثر الفنى فى القرن الرابع تأليف الدكتور/ زكى مبارك ، دار الجيل بيروت، بدون تاريخ، ج١/٥١ وما بعدها.
(٢٠) انظر: الصاحبى لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بتحقيق السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٧٨.
(٢١) تاريخ آداب العرب للرافعى ج١/٢٠٨ - ٢١٠.
(٢٢) أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية للباقورى، ص ٦٦.
(٢٣) الفصحى لغة القرآن لأنور الجندى، ص ٣٦.
(٢٤) أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية للباقورى، ص ٦٥.
(٢٥) قطوف أدبية لعبد السلام هارون، ص ١٥٩، ١٦٠.
(٢٦) المصدر السابق، ص ١٦١.
(٢٧) وحى الرسالة للزيات ج٤/١١٥.
(٢٨) قطوف أدبية لعبد السلام هارون، ص ١٦٠.
(٢٩) وحى الرسالة للزيات، ج٤/١١٧.
(٣٠) الإسلام والحضارة العربية تأليف محمد كرد على ج١/١٧٠.
(٣١) انظر : مقدمة ابن خلدون تأليف عبد الرحمن بن محمد بن خلدون تحقيق وضبط الدكتور/ على عبد الواحد وافى، نهضة مصر القاهرة، ط ثالثة بدون تاريخ، ج٣/١٢٦٠ وما بعدها.
(٣٢) الإسلام والحضارة العربية تأليف محمد كرد على ج١/١٧٢.
(٣٣) المصدر السابق، ج١/١٧٣، ١٧٦.
(٣٤) المصدر السابق، ج١/١٧٢، ١٧٣.
(٣٥) انظر: الإحكام فى أصول الأحكام للحافظ أبى محمد بن حزم الأندلسى الظاهرى بتحقيق لجنة من العلماء، دار الحديث، القاهرة، ط أولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤، ج١/٣٤، ٣٥.
(٣٦) الإسلام والحضارة العربية لمحمد كرد على ج١/١٧٤.
(٣٧) المصدر السابق، ج١/١٧٠ - ١٨٧ وانظر: عبقرية اللغة العربية تأليف الدكتور/ عمر فروخ، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٤٠١- ١٩٨١، ص ١٠، من روائع حضارتنا تأليف الدكتور/ مصطفى السباعى، المكتب الإسلامى، بيروت، بدون تاريخ، ص ٥٧ ، ٥٨.

(٣٨) من روائع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعى، ص٥٧ وانظر: أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية تأليف محمدعبد الواحد حجازى، سلسلة مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، عدد رقم ٤٣، ١٩٧١م، ص ٢٤٢، ٢٤٣.
(٣٩) انظر: الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته تحرير: كويلرينج ترجمة الدكتور عبد الرحمن محمد أيوب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢، ص ٣٠.
(٤٠) انظر اللغة الشاعرة تأليف: عباس محمود العقاد، مكتبة غريب القاهرة، بيروت بدون، ص ٦٤، ٦٥.
(٤١) انظر: فقه اللغة وخصائص العربية، تأليف محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ، ص ٤٣، وما بعدها. وانظر : كتاب الزينة فى الكلمات الإسلامية العربية، تأليف أبى حاتم أحمد بن حمدان الرازى تحقيق الدكتور/ عبد الله سلوم السامرائى، ص ٦٤.
(٤٢) المصدران السابقان.
(٤٣) اللغة الشاعرة للعقاد، ص ٦٥.
(٤٤) فقه اللغة وخصائص العربية تأليف محمد المبارك، ص ٢٤٩، ٢٥٠.
(٤٥) انظر: الخصائص لأبى الفتح عثمان بن جنى بتحقيق محمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ثالثة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ج١/ ٥٥، وانظر البيان والتبيين لأبى عثمان بن بحر الجاحظ تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ، ج١/٣٧٧ - ٣٨٠.
(٤٦) الخصائص لابن جنى ج١/٥٥.
(٤٧) فقه اللغة وخصائص العربية، لمحمدالمبارك، ص ٢٥١ وما بعدها.
(٤٨) انظر: التنبيه على حدوث التصحيف تأليف : حمزة بن الحسن الأصفهانى، تحقيق/ محمد أسعد طلس، دار صادر، بيروت، ط ثانية، ب١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م، ص ١٦.
(٤٩) المصدر السابق.
(٥٠) فى الفارسية "يازار محقق كتاب التنبيه. ومما تجدر الإشارة إليه أن الفارسية الحديثة التى كانت تعاصر العربية فى العصر الجاهلى وصدر الإسلام هى الفهلوية، وليست الفارسية الحديثة. وكانت

الفهلوية تختلف عن الفارسية الحديثة اختلافاً غير يسير، وأهم هذا الاختلاف أن بعض الصيغ بالفهلوية كانت تنتهى بكاف، وقد حذفت هذه الكاف بالفارسية الحديثة أ هـ انظر: المعرب للجواليقى، ص ٣١، ٣٢.

(٥١) التنبيه على حدوث التصحيف تأليف حمزة الأصفهانى، ص ٣٤ - ٣٦.

(٥٢) التعريب: هو نقل اللفظ من العجمية إلى العربية، ويشترط فيه شرطان: الأول أن يكون اللفظ الأعجمى المنقول إلى العربية قد جرى عليه إبدال فى الحروف، وتغيير فى البناء حتى صار كالعربى. الثانى : أن يكون فى عصر الاستشهاد، بأن يرد فى القرآن الكريم أو الحديث النبوى، أو كلام العرب الذين يحتج بكلامهم أ هـ انظر: المعرب لأبى منصور الجواليقى تحقيق الدكتور/ ف عبد الرحيم، دار القلم، دمشق، ط أولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠، ص ٩١، ٩٢.

(٥٣) انظر: الغيث المسجم فى شرح لامية العجم تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ثانية، ١٤١١هـ، ج١/٧٩.

(٥٤) المصدر السابق.

(٥٥) التوليد: وهو ما نقل إلى العربية بعد انقضاء عصر الاستشهاد. يقول الشهاب الخفاجى: ما عربه المتأخرون يعد مولداً، وكثيراً ما يقع مثله فى كتب الحكمة والطب، أ هـ ويقول الدكتور حلمى خليل: كلمة مولد، تدل على نوع من الكلام، بأنه ليس من كلام العرب فى الجاهليةأو أنه محدث حوالى منتصف القرن الثانى الهجرى تقريباً،أ هـ انظر: معجم الألفاظ والتراكيب المولدة فى شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل لقاضى القضاة شهاب الدين أحمد الخفاجى المصرى تحقيق وصنعة الدكتور/ قصى الحسين، دار الشمال للطباعة، طرابلس، لبنان، ط أولى، ١٩٨٧، ص ٦٨، المولد فى العربية" دراسة فى نمو اللغة العربية وتطورها بعد الإسلام تأليف الدكتور/ حلمى خليل، دار النهضة العربية، بيروت، ط ثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م، ص ١٦٠.

(٥٦) كتاب الزينة فى الكلمات الإسلامية العربية لأبى حاتم الرازى، ص ٦٥.

الفصل الثالث

موقف العلمانيين من الأدب العربى، والرد عليهم

وتحته أربعة مباحث :

١- صلة الأدب العربى بالقرآن الكريم واللغة العربية.

أولاً - فى ظل هذه الحالة الراهنة التى يعيشها العالم العربى والإسلامى من الركود والموات وفقد الهوية، اكتفى الذين يناط بهم بعث الحركة الأدبية والفكرية من جديد؛ لتصل حاضرنا بماضينا التليد، اكتفوا بمواقع الأدب الدفاعى، وقصروا جهودهم على مواجهة الأدب المنحل، ورد شبهاته، دون أن تكون لهم المبادرة فى تقديم الأدب العربى والإسلامى فى أبهى صوره، وأعذب أشكاله. كما كان يصنع آباؤنا الأقدمون، مما قد ينتهى بنا إلى نتائج سلبية، تجعل من شبه أعداء الإسلام والمشكلات التى يثيرونها، هى القضية والمساحة التى يحكم على الأدب الإسلامى بعدم تجاوزها(١). وهذه الحالة تدفعنا إلى أن نتساءل من جديد، هل من علاقة تربط بين الأدب والقرآن الكريم، وما نوع هذه العلاقة، ومداها، وإذا كان ثمة علاقة قوية، فأى فائدة ترتجى من ورائها؟ وما صلة الأدب باللغة العربية؟ ونقول: هذه التساؤلات ونحوها تحتاج - فى استيفاء جوانبها - إلى سفر كامل، وهذا خارج عن إطار هذا البحث، الذى التزم - فى منهجه وخطته - عدم الإغراق فى التفاصيل، وقنع بالتنبيه على الأصول والمنابع ثم الأهداف والغايات وترك ما وراءها.

ثانياً - إن من اللافت للنظر حقاً أن كلمة "الأدب" لم ترد فى القرآن الكريم، فما دلالة هذا؟ على الرغم من ورود معناها بكثرة فى آياته الكريمة، وشدة اتصالها بأغراضه وموضوعاته(٢) - كما سيأتى - وهذا يفسر لنا كيف أن الأقدمين لم يشغلوا أنفسهم كثيراً بفلسفة الأدب وتعريفه ومفهومه، واكتفت طائفة منهم بوضع بعض التعريفات الموجزة للأدب وخاصة الشعر(٣)، بينما ظلمت كلمة الأدب - وإن كانت كلمة عربية فصيحة - تمر بمراحل تاريخية يتغير مفهومها فى كل مرحلة من هذه المراحل(٤)، فقد كانت هذه الكلمة - الأدب - تستعمل فيما يؤدى معنى الإنسانية أو الآدمية، من كرم الخلال وما يتصل به. وكانت تدل فى الجاهلية وصدر الإسلام الأول على معنى التهذيب، والخلق الكريم وما يتركه من أثر فى الحياة العامة والخاصة(٥)، فلما جاء العصر الأموى، صارت عنواناً على الوسيلة الفذة للتربية والتعليم، إلى جانب المعنى الخلقى التهذيبى. فلما انتصف القرن الثانى الهجرى ونشأت العلوم

العربية، كاللغة والنحو والصرف وغيرها، وأخذت مصطلحاتها، انضافت هذه العلوم إلى معنى الأدب التعليمى، وصارت تدل على مأثور النظم والنثر، وما يتصل بذلك. ثم جاءت الحضارة العباسية بما تحمله معها من ألوان الثقافة والاجتماع؛ فتوسع مدلول معنى الأدب؛ ليتناول المعارف الإنسانية، والآثار العلمية، وأنواع الفنون الجميلة، والرياضية وغير ذلك(٦) ثم تفاوت مدلولها بعد ذلك ضيقا واتساعا دون أن يكون لها تعريف محدد.

ثالثا - من المؤسف أن يستقر تعريف الأدب على ما تواطأ عليه الغربيون - كما سيأتيك فى المبحث الثانى - وخاصة عند الإيطاليين منذ القرن الثامن عشر - والغريب أن الأدب لم يخلق عندهم إلا منذ ذلك الحين - ثم نقله المستغربون عندنا، يقول الزيات: والغريب أن يجهله الشرق، ومن الشرق انبثق النور وانتشر العلم، وعرف الأدب، والعرب هم الذين خلقوا من النحو فلسفة، ومن التوحيد منطقا ذا أقيسة، وجدلا ذا قواعد(٧).

رابعا : يقول أحمد الشايب: الأصل فى الأدب : أنه فن جميل يعبر عن شخصية الأديب، ويصور عواطفه، متوسلا إلى ذلك بهذه اللغة الكلامية التى تجمع بين الجمال والإفصاح، ويتراءى ذلك فى الشعر والنثر الأدبى والخطابة والقصة والوصف ونحوها، من كل ما هو معرض للانفعالات النفسية، ومن ذلك يلتقى الأدب مع الفنون الأخرى من ناحية العناصر، التى تتألف منها جميعا(٨). وهذا يشير إلى أن الأدب بمعناه الخاص - وهو الشعر والنثر الجميل الذى يقصد إلى تصوير العاطفة - لا يمكن أن يستغنى مطلقا عن الحقائق العقلية، والمسائل العلمية، التى تعصمه من الخطأ فى التفكير والتصوير، إلى جانب العاطفة التى تضمن له القوة والخلود.ويشير ثانيا إلى أن الأدب بمعناه العام، الذى يتناول جميع الآثار، فمنه العلوم والفلسفات والفنون والآداب والتاريخ والنقد والسياسة والاجتماع والقانون والاقتصاد، من كل ما يؤدى حاجة النفس الثقافية.وهذا النوع تغلب فيه الناحية العلمية. فهو علم فى أسلوب أدبى، وكثير من فروعه يجمع بين العنصرين العقلى والعاطفى بدرجة متقاربة(٩).

خامسا - الواقع أن اللغة التى هى مادة الأدب، ووسيلته إلى التعبير، هى وعاء لكل ما فى المجتمع من أنماط فكرية وخلقية وجمالية، فهى صدى البيئة، وسجل لما تتضمنه من قيم عليا، ومن مثل(١٠). فإذا كان الوعى والفكر هما اللذان أوجدا اللغة فى المجتمع - كما يقول الدكتور

محمد سعيد البوطى - فإن اللغة والمجتمع قد أكسبا الفكر والوعى مزيدا من الاتساع والقوة(١١). فالصورة الفنية المؤثرة تتشكل من عناصر عدة: أولها: اللغة المنتقاة، حيث تؤدى اللفظة الموحية المؤثرة وظيفة خاصة مميزة. هذه اللفظة لا تقوم بذلك وحدها، ولكن بارتباطها العضوى مع باقى الألفاظ فى نسق معين، وبما تعكسه من فكر، وتثيره من خيال، وبما تحركه من عاطفة، وتولده من اندماج(١٢)، فاللغة ومعها النحو والصوف والبلاغة والعروض - وهى علوم أدبية - لا يستغنى عنها الأدب بحال. فاللغة مادة الأسلوب ورموز المعانى، والصرف مقياس الكلمات وتصريفها، والنحو يصلح التراكيب ويضبطها، والعروض مقياس الشعر وضابط ألحانه وموسيقاه، والبلاغة هى قانون الصلة بين الكاتب والقارئ(١٣).

سادسا : ثم إن بعض العلوم تكون عامة بين الناس وليس لها خصوصية، مثل الدراسات التجريبية، أو الرياضية، فيشترك فى إدراك حقائقها كل الناس بقدر واحد لا مجال للخلاف فيه. وأما الآداب فتختلف، فالثقافة تختلف باختلاف الأجناس والبيئات والأديان؛ لأنها تتصل اتصالا وثيقا بقيم الخير والشر، والجمال والقبح، والحق والباطل، والحرام والحلال. فهناك خلاف واسع فى تقدير الخير والشر بين الكافر والمؤمن، فبينما يرى الأول، أن حرمان النفس من كل ما تشتهيه ضرب من الحماقة. يرى الثانى، أن ضبط النفس وكبح جماحها فضيلة. بينما يراها - الفرويدى مثلا - شرا يسبب الكبت، الذى يورث فى زعمه الأمراض والعقد(١٤)، وهكذا فإن آداب كل أمة تعبر عنها، ولا تصلح لغيرها، وإن الأدب مرآة العقائد والقيم والعادات والتقاليد والثقافة التى تتحلى بها كل أمة وتعبر عنها.

سابعا - غابت هذه الحقيقة عن العلمانيين عندنا، أو غيبت فضاعت آدابنا الإسلامية والعربية، أو كادت أن تضيع ومعها اللغة العربية أداة هذه الآداب ووسيلتها المعبرة عنها - كما سيأتى فى المبحث الرابع.

وكأننا لم نملك حضارة ازدهرت فيها آدابنا وفنوننا وعلومنا، هى التى تعبر عنا دون سواها!! ومن أجل ذلك فلا أحد ينكر أن الأدب كان عنصرا من عناصر هذه الحضارة الإسلامية، ولم يكن من باب المصادفة أن يكون فقهاء الإسلام وفلاسفته وعلماؤه وقواده من أكثر الناس اهتماما وممارسة لفن الأدب شعرا ونثرا، ترى ذلك واضحا عند ابن سينا والشافعى وابن المقفع والجاحظ، وغيرهم من أعلام الفكر المسلمين عربا

وعجما(١٥)، بل إن التراث الذى خلفوه لخليق أن ينهض بهذه الأمة من جديد، ويبلغ بها ما بلغت الحضارة الإسلامية فى سوالف أيامها من مجد وتألق، إذا جعل هذا وغيره أساسا لهذه النهضة، فهذه نظريات "ابن خلدون" فى طبائع الاجتماع، وذلك مذهب " الغزالى" فى السلوك، وتلك نظرات "القابسى" فى التربية، وهنالك تأملات "المعرى" فى الحياة البشرية، وأفكار "التوحيدى" فى طبائع الأشياء، وفلسفة الظواهر النفسية. ولدينا أوضاع العرب والمسلمين فى الحروب والمنازعات والمعاهدات ، مما يشبه أحكام القانون الدولى ومراسم الدولة العربية الإسلامية فى السفارة والسفراء مما يشبه مراسم "الدبلوماسية" وهناك تجارب "ابن سينا" و"الرازى" فى الطب والصحة العامة، ونظرات "ابن الهيثم" فى الطبيعة، و"البيرونى" فى الفلك، ولا ننسى مذهب الشك عند النظام ولا نشوء العقائد بوحى الفطرة عند "ابن طفيل" ولا ملامح القصص الفنى نثرا فى مثل حكايات الأمثال العربية والمقامات، وقصص الأخباريين. وشعرا فى مثل القصائد التى تمخضت عنها أيام العرب، ولا آراء "الجاحظ"، و"ابن قتيبة" و"الجرجانى" و"ابن رشيق" فى الأدب والبلاغة والنقد، وأخيرا لا نغفل تقاليد الأمة العربية الإسلامية فى نظام الأسرة، وفى التكافؤ الإنسانى، ولا حقوق المرأة العربية والمسلمة فى الحياة ومدى مشاركتها فى حمل أعباء المجتمع(١٦).

ثامنا – بالنظر إلى إقبال الجماهير على الفنون الحديثة من القصة والأقصوصة والراوية والمسرحية وغير ذلك من الفنون، كل أولئك يجب أن يفتح عيوننا على هذا السلاح الخطير، الذى يتسلح به الشر على أرض الله الواسعة. وقد لا نكون مغالبين إذا قلنا: بأن القصة والمسرح كان لهما النصيب الأوفر فى تشكيل الرؤية العقائدية، وإقناع الناس بها لإحدى الدول الكبرى، التى تحاول أن تسيطر عقائديا على العالم اليوم(١٧)، ونحن نخشى على أبناء أمتنا أن يتشكل وجدانهم وعقائدهم على الآداب التى جلبها العلمانيون من الغرب، وقد إنطلقت هذه الآداب من قيم معينة، وقد امتلأت الساحة بها، فهناك الأدب الوجودى والأدب الاشتراكى، أو الماركسى، أو الواقعى الاشتراكى، والأدب العبثى، وأدب اللامعقول، والأدب التبشيرى والأدب الصهيونى، والرومانسية والكلاسيكية، والرمزية والفرويدية والطبيعية وغيرها، وكلها نبتت فى أرض فلسفية(١٨) وهى مغايرة لقيمنا وآدابنا بل وديننا وعقيدتنا!!

تاسعا : إن القرآن الكريم يعتبر منهل الأدب الخالد، فقد استخدم القصة والحوار، والمثل ، والمواقف الخطابية، ودعا إلى المباهلة، ووظف الحدث التاريخى، واعتمد الجدل الفكرى، وأسلوب المواجهة، والتقرير المباشر، والوعظ المؤثر فى سبيل تحقيق أغراضه فى هداية الإنسان. فالأشكال – فى القرآن – متسعة متطورة بشرط الحفاظ على القيم الثابتة(١٩)، وإذا كان الجاحظ يحدد أهم وظيفة للأدب بقوله: إصلاح العالم والمساهمة فى تكوين الفرد تكوينا جديدا" ويقول : لكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ(٢٠)"، فما الذى يمنعنا أن ندرس من جديد آدابنا القديمة – التى أشرنا إلى بعضها – بمناهج جديدة، وأن نضفى عليها من واقع حياتنا، وأن نغترف من بحر القرآن الكريم ما يطبع حياتنا بآدابه وقيمه، وأن نستعين على ذلك بالفنون الأدبية، التى هى لغة عالمية فى تأثيرها مثل القصة والمسرح، وكنا أصحاب الفضل فى كل ذلك(٢١)، خاصة وأن الأدب الإسلامى يستوعب الحياة بكل ما فيها، ويتناول شتى قضاياها ومظاهرها ومشاكلها، وفق التصور الإسلامى الصحيح لهذه الحياة، وفى إطار من الحق والموضوعية، ويبشر بالخير والحق والجمال دون مبالغة أو إسراف بل هو صالح لأن يستوعب قضايا العالم أجمع ، وأن يجد العالم فيه شتى ، أنواع العلاج التى يبحث عنها فلا يجدها عند غيره!!

٢- تعريف الأدب عند علماء العرب وعند العلمانيين

لا أريد بالأدب العربى هنا معناه الخاص الذى هو : الكلام الجيد الذى يحدث فى نفس قارئه وسامعه لذة فنية، سواء أكان هذا الكلام شعرا أم نثرا، ولا معناه العام، الذى هو: ما أنتجه العقل الإنسانى من أنواع المعرفة، سواء أحدث فى نفس القارئ أو السامع هذه اللذة الفنية أم لا(٢٢). هذا التعريف مأخوذ عن الغرب كما سبقت الإشارة إلى ذلك وللأسف صار هذا التعريف للأدب بمعنييه العام والخاص هو التعريف المعتمدة الآن عند العرب .

وإنما أقصد من ذلك الأدب الشعبى؛ وذلك لأن المستشرقين ركزوا فى مجال الأدب على الأدب الشعبى، والعاميات، والاهتمام بشعر الغزل والمجون، واعتبار "ألف ليلة وليلة" والأغانى، مصادر البحث الأدبى(٢٣)، وقد تبعهم فى ذلك دعاة التغريب عندنا.

٣- تخصص بعض المستشرقين فى الأدب العربى

من خطط الاستشراق فى غزو المشرق الإسلامى، دراسة الأدب

العربى وتوجيهه بما يضمن لهم عزله عن مصادره العربية والإسلامية الأصيلة، ومحاربة الفصحى، ومعاداة البلاغة العربية، التى ظل الأدب العربى يزهو بها بين آداب الأمم المتحضرة، وقد تخصص جماعة من المستشرقين فى الأدب العربى، منهم: ماجليوث، وكلمان هوار، وجب، ونلينو، وبروكلمان، وريجيس بلاشير، وكراتشكوفيسكى(٢٤) وغيرهم.

٤- مصادر المستشرقين والعلمانيين فى الأدب العربى، ومنهجهم فى دراسته، والرد عليهم

سبق أن ذكرت بعض مصادرهم فى دراسة الأدب العربى، من الاعتماد على الأدب الشعبى والعاميات، والشغف بشعر الغزل والمجون، والفلكلور: وهو اصطلاح ظهر في أوروبا فى منتصف القرن الماضى، ومعناه: الدراسات التاريخية التى تتصل بعادات الشعوب وتقاليدهم وطقوسهم وخرافاتهم وأساطيرهم ومعتقداتهم وفنونهم، وما يجرى على ألسنتهم من أغان أو أمثال أو شتائم أو أهازيج يدرس ذلك كله من خلال الآثار والعاديات، كما تستقصى آثاره الباقية فى الجماعات البشرية المعاصرة كما اعتمدوا "ألف ليلة ولية" مصدرا من أهم مصادرهم، وقد ظلت زمانا طويلا لا يكترث لها إلا السوقة والفارغون وأصحاب المجون، حتى ترجمت، وصاروا يوهمون الناس أنها تمثل حياة الشرقيين(٢٥)، وما أدراك ما انطوت عليه من المجون والعبث والخرافات والأساطير، وكذلك اللغة التى كتبت بها وكذلك كتاب الأغانى للأصفهانى، وقد ركز المستشرقون كذلك على الموشحات(٢٦) والمقامات(٢٧)، وأعلو من الفكر الباطنى وإخوان الصفا، وأعلنوا تأثر الأدب العربى بالفكر الفارسى والأدب اليونانى، وحملوا على العصر المملوكى، وأطلقوا عليه عصر الانحطاط، مع أنه حافل بالموسوعات وبكبار المؤلفين من أمثال: المقريزى وابن عربشاه والسيوطى، ويربطون النهضة العربية الحديثة بالحملة الفرنسية، وأثر الإرساليات فيها(٢٨)، وكانت تبعية العلمانيين للمستشرقين واضحة فى تطبيق نظريات الأدب الفرنسى على الأدب العربى، وهى نظريات مادية تقوم على مفهوم أن الإنسان خاضع للبيئة والعصر، وأنه مجبور ليست له إرادة، وأنه حيوان مادى يخضع للجنس أو لقمة العيش(٢٩).

ومن خلال ما يسمونه بـ "الدراسات الشعبية" , "الفولكلور" أوعزوا إلى الأدباء والكتاب أن يبحثوا عن مواضع الاتصال بين مصر القديمة ومصر الحديثة فى ميادين الأدب وكتب العقائد وطقوس العبادة،

وموروث التقاليد والعادات فى شتى نواحى الحياة، على اعتبار أن تغير الدين فى مصر من الوثنية إلى المسيحية ثم الإسلام، وتغيير الكتابة واللغة فيها من الهيروغليفية إلى العربية، لم يقطع الصلة بين مصر القديمة ومصر الحديثة. كما نادى دعاة التغريب من العلمانيين إلى إنشاء أدب مستقل عن آداب الشعوب الشرقية الأخرى الناطقة بالضاد؛ لأن اللغة العربية ليست لغة شعب فحسب، بل هى لغة شعوب وأمم عدة، اقتداء باللغات الأوربية الحديثة التى نشأت على أنقاض اللغة اللاتينية، فإن لم يكن للكاتب ملكة ينميها أو وجدان يستمده من الأدب الفرعونى، فليول وجهه شطر الأدب الريفى!! ولكن هذا التوجه العلمانى يصادمه مصادمة صريحة ما نص عليه الدستور المصرى فى مادته الأولى أن "مصر دولة عربية"، وأن "الشعب المصرى جزء من الأمة العربية"، وفى المادة الثالثة من الدستور أن "الإسلام دين الدولة"، ثم نصت المادة الخامسة منه على أن "الأسرة أساس المجتمع، قوامها الدين والأخلاق والوطنية"(٣٠)، إذن فنظام مجتمعنا يستمد مقوماته من ديننا الإسلامى الحنيف، ومن أخلاقنا الإسلامية، ومن وطنيتنا العربية، ولا يستمدها من ذلك "الفلكلور" قديمه وحديثه.

يقول الدكتور رفيق حبيب: يتفق الجميع على أننا فى حالة من حالات التراجع التاريخى ، ونعانى من أزمة حضارية شاملة.ولعل موقف التيارات والفصائل من هذه الحالة يتجمع فى النهاية فى تيارين أساسيين، هما: تيار الموروث، وتيار الوافد، والأول هو التيار الذى يرى المستقبل من خلال التاريخ الحضارى، والهوية الثقافية. أما التيار الثانى، فهو ينشد الخروج من الحضارة - الإسلامية - جملة ، وهى ليست إلا محاولة للانتحار الحضارى، بل وصل لحالة من الهزيمة، أدت إلى اعتقاد بأن كل ما لدينا من تاريخ وحضارة وثقافة وتقاليد، هو سبب تخلفنا(٣١)، ولما كان ميدان الأدب هو أهم ميادين الثقافة بل وأخطرها، ومصدر خطورته هو أنه أقدر الأدوات على تطوير الرأى العام، وعلى صوغ الجيل وتشكيله فيما يراد له من صور، وذلك لتغلغله فى حياة الناس، وتسلله إلى أعماق نفوسهم، عن طريق الصحافة والقصة والمسرح والسينما، والإذاعات المرئية والمسموعة، ثم عن طريق الكتب المدرسية، وما يناسبها من كتب الأطفال والشباب(٣٢)، وهذه الأدوات يقوم على تغذيتها وتوجيهها فى الغالب نخب من هؤلاء العابثين بتراثنا الأدبى، تحت مسميات مشبوهة، وشعارات فارغة، من أمثال: "حرية الرأى"، أو "حرية

النشر"، أو "حرية الفرد"، وهى تابعة تبعية مطلقة للثورة الفرنسية اليهودية، وشعارها كما هو معروف "الحرية والإخاء والمساواة"، ولكن من غير المعروف- للقارئ العربى والمسلم، أنها من وضع مجمع بوردو الماسونى - وهدفها خدمة القلة اليهودية، وتمكينها من السيطرة على العالم، بعد إفساد الجماعات،والقضاء على كل الأديان(٣٣). وهذا بدوره يدفعنا بقوة إلى أن نردد ما نادى به أبو الحسن الندوى من إقامة أدب إسلامى(٣٤)، ونعمل على إحياء هذا الأدب، ورسم ملامحه، وترسيخ قواعده، وتشييد صرحه وتوشيته، بالشكل الذى يعبر عن هويتنا وعروبتنا وإسلامنا، كما فعل أسلافنا الأماجد فى بناء حضارة الإسلام العريقة، التى هى أساس حضارة اليوم الحديثة، وإن تراثنا العربى والإسلامى لحافل بالدر والياقوت، وفيه أبكار لم يطمثها قلم، جديرة بأن تجدد ديننا، وتحيى لغتنا، وتزهر بلاغتنا، وتخصب علومنا ومعارفنا، وتعمق ثقافتنا، وتأخذ من ماضينا المجيد لترسم به آفاق مستقبلنا.

وأما هؤلاء الذين لا يطربهم إلا رنين الأسماء الغربية، والموضوعات الغربية كما يقول محمد عبد الله عنان: هم أقل الناس تزودا بآداب اللغة، التى يخرجون بها مباحثهم ، ويزعمون أنهم يحاولون إحياءها وتجديدها، وهم أكثر الناس جهلا بما يموج به تراث العربية من كنوز البيان والأدب(٣٥) وربما يتمسكون بما هو أوهى من خيوط العنكبوت، إذا كان فى صالح دعوتهم التغريبية، وعلى الأخص إذا جاءهم من الغرب، كما جاء فى كتاب: "الماضى المشترك بين العرب والغرب أصول الآداب الشعبية الغربية" تأليف: أ. ل . رانيلا، يقول فيه: وعلى الرغم من أن العصور الوسطى كانت هى الفترة الخصبة للتأثير العربى، فقد استمرت حركة تلاقى الحضارات بعد ذلك، ثم جاء عصر النهضة، وفى هذا العصر أدخلت المخطوطات الكلاسيكية للأدب الإغريقى إلى دائرة العلم الغربى، حيث حلت اللغات العامية محل اللاتينية(٣٦) وهذا بريق خادع للأغرار، وكأن الفصحى هى التى حجبت الشرق الإسلامى عن التقدم الذى وصل إليه الغرب المسيحى، برغم أن الأصول مشتركة!!

وأنا اقترح أن تنشأ جوائز قيمة للأعمال الأدبية المتميزة، التى تلتزم الفصحى لسانا فى كتابتها، وأن تتغيا الموضوعات ذات القيمة سواء كانت دينية أو اجتماعية أو خلقية بما يضمن خدمة كتابنا وسنة نبينا وسيرة السلف الصالح من أمتنا وأن يشرف عليها الأزهر الشريف؛ وبهذا نكون قد بعثنا الأدب الإسلامى من جديد، وجددنا له شبابه، وربطنا بين

حاضر هذه الأمة وماضيها برباط من الثقة بالنفس؛ لنهيئ لها وثبة حضارية هائلة، تعيد إليها ما ضاع منها تحت ركام تخلفها الطويل؛ لتمسك بزمام المبادرة من جديد أسوة بما تفعله الكنيسة الإنجيلية بمصر!!

كيف لا وحضارتنا الإسلامية ذاخرة بالكنوز الأدبية، التى كان لها الفضل الأول فى بعث الحركة الأدبية الهائلة عند الغرب، وأفرزت أعمالا عظيمة لكبار كتاب أوروبا. فيؤكد كثير من النقاد أن "دانتى" فى "القصة الإلهية" التى يصف فيها رحلته إلى العالم الآخر، كان متأثرا برسالة الغفران للمعرى، ووصف الجنة لابن عربى؛ ذلك أنه أقام فى صقلية على عهد الإمبراطور "فردريك الثانى" الذى كان مولعا بالثقافة الإسلامية، ودراستها فى مصادرها العربية، وقد دارت بينه وبين دانتى مساجلات فى مذهب أرسطو كان بعضها مستمدا من الأصل العربى، وكان دانتى يعرف شيئا غير قليل من سيرة النبى ﷺ فأطلع منها على قصة المعراج والإسراء ووصف السماء. وأما "بترارك" فقد عاش فى عصر الثقافة العربية بإيطاليا وفرنسا ، وطلب العلم فى جامعتى "مونبلييه" و"باريس" وكلتاهما قامتا على مؤلفات العرب وتلاميذهم فى الجامعات الأندلسية. بل تأثرت القصة الأوروبية فى نشأتها بما كان عند العرب من فنون القصص فى القرون الوسطى، وهى المقامات وأخبار الفروسية، ومغامرات الفرسان فى سبيل المجد والعشق !! وبالجملة يقول الأستاذ ماكيل: "كانت أوروبا مدينة بأدبها الروائى إلى بلاد العرب، وإلى الشعوب العربية الساكنة فى النجد العربى السورى تدين بأكبر قسم، أو بالدرجة الرئيسية لتلك القوى النشيطة، التى جعلت القرون الوسطى الأوربية مختلفة روحا وخيالا عن العالم الذى كان يخضع لروحه"(٣٧) ولا ننسى شاعر الألمان الأكبر ، الروائى المسرحى المفكر وعالم الطبيعة "يوهان فولفجانج جوته (١٧٤٩ - ١٨٣٢)" وصلته الوثيقة بالإسلام وإعجابه الشديد به، وقد ملك عليه أقطار نفسه، ومن ثم ارتبطت أعماله الكبيرة به، فتجد أصداء قرآنية فى مسرحيته "جوتس فون برليشنجن" بل دون جوته عددا من الآيات القرآنية من الثلثين الأولين من القرآن؛ لأنه كان يزمع الاستفادة مها فى مشروعاته الأدبية، وكذلك حبه للرسول ﷺ جعله يكتب مسرحيته المسماة "تراجيديا محمد" وغير ذلك من أعماله العظيمة عن الإسلام ومبادئه وما يدعو إليه (٣٨)، ويكفى هذا دليلا على ضلال المستغربين عندنا وتخبطهم، الذى أفقدهم هويتهم الإسلامية والعربية، التى تشع نورا أضاءت به أوروبا نهضتها الحديثة ولكنهم لا يبصرون!!

هوامش الفصل الثالث

(١) مدخل إلى الأدب الإسلامى تأليف الدكتور/ نجيب الكيلانى، ص ١٢.
(٢) أصول النقد الأدبى تأليف أحمد الشايب، ص٢.
(٣) مدخل إلى الأدب الإسلامى للكيلانى، ص ١٧.
(٤) انظر فى أصول الأدب تأليف أحمد حسن الزيات، ص ٩، فى الأدب الجاهلى تأليف الدكتور طه حسين، دار المعارف بمصر، ط الثانية، ص ١١٣، البيان والتبيين للجاحظ ج/٢/٥٨ وغيرها.
(٥) ضحى الإسلام تأليف أحمد أمين، دار الكتاب العربى، بيروت، ط عاشرة، بدون تاريخ، ج٢/٢٤٣ وما بعدها.
(٦) المصدر السابق.
(٧) فى أصول الأدب لأحمد حسن الزيات، ص ١٠، ١١.
(٨) أصول النقد الأدبى للشايب، ص ٦٧.
(٩) المصدر السابق، ص ٦٨.
(١٠) انظر: الإسلام والحضارة الغربية تأليف الدكتور / محمد محمد حسين، دار الرسالة، السعودية، ط تاسعة، ١٤١٣ هـ -١٩٩٣م، ص ٢٥٩.
(١١) انظر : نقض أوهام المادية الجدلية تأليف الدكتور/ محمد سعيد رمضان البوطى، دار الفكر، دمشق، ط ثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م، ص ١٦٩.
(١٢) مدخل إلى الأدب الإسلامى للكيلانى، ص ٢٦.
(١٣) أصول النقد الأدبى للشايب، ص ٦٨.
(١٤) الإسلام والحضارة الغربية للدكتور محمد محمد حسين، ص ٢٥٨.
(١٥) مدخل إلى الأدب الإسلامى للكيلانى، ص ١٦ ، ١٧.
(١٦) انظر: القصة فى الأدب العربى وبحوث أخرى تأليف محمود تيمور، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٧١، ص ٥٠ ، ٩١.
(١٧) مدخل إلى الأدب الإسلامى للكيلانى، ص ١١.
(١٨) المصدر السابق، ص ٣٩، الإسلام والحضارة الغربية للدكتور محمد محمد حسين، ص ٢٥٩ وما بعدها.
(١٩) مدخل إلى الأدب الإسلامى للكيلانى، ص ١٤.
(٢٠) البيان والتبيين للجاحظ ، ج١/١٨٦.

(٢١) انظر: المسرح فى الوطن العربى تأليف الدكتور على الراعى، عالم المعرفة، الكويت، ط ثانية، ١٩٩٩، ص ٣١ - ٥٠، انظر:قضايا ومعارك أدبية تأليف محمد عبد الحليم عبد الله، الشعب - القاهرة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص ١١ - ١٦.
(٢٢) انظرالتوجيه الأدبى تأليف الدكتور طه حسين مع آخرين، المطبعة الأميرية، ١٩٤٤، ص ٢، ٣.
(٢٣) الإسلام والمستشرقون تأليف نخبة من العلماء المسلمين، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، السعودية، ط أولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م، ص ٢١٤.
(٢٤) المصدر السابق.
(٢٥) انظر حصوننا مهددة من داخلها الدكتور/ محمد محمد حسين، ص ٤٦، ٤٧.
(٢٦) عرفوا هذا النوع، بأن يكون معنى أول البيت دالا على قافيته، فينزل عليه هذا المعنى منزلة الوشاح، وينزل أول الكلام وآخره منزلة محل الوشاح من العاتق أ هـ انظر تاريخ آداب العرب للرافعى، ج٣/١٥٨.
(٢٧) الإسلام والمستشرقون، ص ٢١٤.
(٢٨) المصدر السابق وانظر إيحاء التقاليد العربية تأليف الدكتور: رفيق حبيب، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ١٤، ١٥.
(٢٩) حصوننا مهدة من داخلها للدكتور محمد محمد حسين، ص ٤٧.
(٣٠) المصدر السابق، ص ٤٨ وما بعدها.
(٣١) المصدر السابق.
(٣٢) انظر: الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر تأليف الدكتور/ محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط سابقة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤م، ج٢/٢٧٢، ٢٧٣.
(٣٣) حصوننا مهددة، ص ٤٥ وما بعدها.
(٣٤) انظر: مدخل إلى الأدب الإسلامى تأليف الدكتور/ نجيب الكيلانى، كتاب الأمة ، قطر، ١٤٠٧، ص ١٢، ١٣.
(٣٥) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر للدكتور محمد محمد حسين، ج٢/٢٨٤.

(٣٦) انظر: الماضى المشترك بين العرب والغرب، أصول الأداب الشعبية الغربية، تأليف: أ. ل. رانيلا ترجمة الدكتورة نبيلة إبراهيم، عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والأداب، الكويت، ١٤١٩ - ١٩٩٩، ص ١٢.

(٣٧) من روائع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعى، ص ٥٧، ٥٨.

(٣٨) انظر: جوته والعالم العربى تأليف: كاتارينا مومزن ترجمة الدكتور عدنان عباس على ، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٥، ص ١٧٧ وما بعدها.

الفصل الرابع

العلمانيون وموقفهم من الشعر العربى والرد عليهم

وتحته عدة مباحث

١- تعريف العلمانيين للشعر

نقل الدكتور جابر عصفور عن لويس عوض قوله: هناك ظاهرة لافتة يلحظها كل من يتأمل تعريف الشعر عند الإحيائيين، وهى أنهم يلحون إلحاحا واضحا فى تعريفهم الشعر، على كلمة الخيال ومشتقاتها؛ كأنهم بذلك يحاولون أن ينفوا انحصار الخاصية النوعية للشعر فى تعريفه العروضى، الذى لا يبقى فيه من الشعر سوى كلمات موزونة مقفاة. لقد ميزوا بين الشعر والنظم، فقصروا الثانى على الكلام الموزون المقفى، وتجاوزوا بالشعر منطقة انتظام القافية والوزن إلى منطقة أخرى سواها، هى منطقة الخيال، التى تمثل الخاصية النوعية للشعر(١).

ومعنى هذا أن العلمانيين قد اعتمدوا اعتمادا كليا على منطقة الخيال وحدها، وانحصر فيها الشعر عندهم، وقد طرحوا من حسابهم القافية والوزن، فإنهما يليقان بالنظم، ولو كان هذا النظم هو جماع ما جاءت به قرائح شعراء العرب والإسلام من أفانين الشعر وألوانه، فهذا جميعه فى نظر هؤلاء نظم؛ لأنهم التزموا الوزن والقافية!! أما هم فليس خليقا بهم أن يحفلوا بالوزن والقافية، ولو كانا جزءا جوهريا وعضويا فى بناء الشعر العربى.. وإذا كان العلمانيون قد كسروا اللغة العربية، فإنهم بالقدر ذاته أو أشد قد كسروا عمود الشعر العربى، وبات الوزن ومعه القافية لا قيمة لهما فى نظر أصحاب الشعر الحر من العلمانيين!! ولذلك ستجد وقفتنا معهم قد طالت - بعض الشيئ - نظرا لما يمثله الشعر عندنا، وبمقدار ما أفسدوا فيه.

٢- متى بدأت هذه الحركة، وكيف بدأت؟

يقول بعض العلمانيين - من الصحفيين : "والذين عاشوا فى الخمسينات والستينيات يعرفون مثلا أن معظم الشعر المعترف به اليوم، لم يكن يحسب فى الشعر آنذاك؛ لأن الأجيال التى ظهرت فى الخمسينات والستينيات من الشعراء والكتاب والفنانين وجدت نفسها فى عصر جديد، لا تستطيع التقاليد الموروثة فى هذه الفنون أن تفهمه وتتمثله وتعبر عنه. فلابد من خطاب أدبى وفنى وفكرى جديد، يتحرر من هذه التقاليد!! ويبلور تقاليد جديدة حية، قوبلت فى البداية بالرفض والاستهجان، حتى استطاعت فى النهاية أن تمثل عصرها، وتخاطب جمهورها ، فحظيت

بالاعتراف(٢) ولك أن تتخيل مقدار هذا الزهو، وذلك التيه الفضفاض، وكأن هذا المذهب فى الشعر من بنات أفكارهم، ومن نتاج إبداعهم وابتكارهم، ولكنهم كالعهد بهم دائما، لا يهشون ولا يبشون إلا للوافد من الغرب، فلا تحلوا فى أعينهم إلا البضاعة المستوردة، حتى لو كانت غثة وفاسدة، وديدنهم أبدا التقليد والمحاكاة، ونتساءل مرة أخرى، فمن إذن صاحب هذه الدعوة، التى لا تلتزم بضرورة الوزن والقافية فى الشعر؟

٣- أساس هذه الفكرة

فى أواخر القرن الماضى قام جماعة من الأدباء الأوربيين تحركهم روح الثورة على الأوضاع المألوفة، وذهبوا يشككون فى كل شئ، حتى فى ضرورة الوزن للشعر.وينادى هذا النفر، بأن الكلام الجميل قد يكون شعرا، ولكن هذه الثورة لم تلق أنصارا كثيرين، ولم تجد هذه الدعوة رواجا إلا فى الولايات المتحدة، وفى بعض جهات قليلة فى أوربا، وعلى الأخص بلجيكا(٣)، ثم تلقفها العلمانيون عندنا؛ لولعهم بكل شاذ، ولو كان فيه هدما لتراثنا، وإضعافا للغتنا، والانسلاخ عن هويتنا.

٤- تقييم هذه الفكرة ، وبيان أهدافها ، والرد عليها

بعد أن تبين أن هذا المذهب فى الشعر، أو الثورة عليه بالمعنى الأدق، ليس من صناعة العلمانيين، ولم يكن موجها فى الأصل إلى الشعر العربى، بل إلى الشعر الأوربى، الذى هو شعرهم ولغتهم، فإذا قيمنا هذا التوجه سواء أصبنا أم أخطأنا، فإنما نقيمه لأصحابه الحقيقيين، ويكون ذلك نوعا من الدراسة النقدية التى تمتع العقل والوجدان أى متاع. وفى الحقيقة هذا ليس محل دراستنا، وإنما الذى هو موضع اهتمامنا وكلفنا، إنما هو أن تقوم طائفة من العلمانيين عندنا بنقل هذا المقترح، القاضى بطرح الوزن والقافية من الشعر، ثم تطبيقه على الشعر العربى، دون النظر إلى طبيعة اللغة العربية، ومدى ملائمتها لذلك من عدمه، وأن لكل لغة ما يناسبها، ولذلك يقول الدكتور شوقى ضيف: نحن لا ننسى ما حاوله بعض الشعراء من التجديد غير أن جمهورهم فى الحق لم يستطيعوا أن ينهضوا بكل ما كنا نصبو إليه، فقد أهملوا - فى كثير من جوانب شعرهم - الصياغة الفنية للشعر العربى، وراحوا يستعيرون معارض تفكيرهم وشعورهم من الشعراء الغربيين، وخاصة شعراء النزعة الرومانسية، وبالغوا فى ذلك حتى أصبحت وكأنها ضروب من الترجمة للأساليب الغربية"، ثم يتساءل بغرابة واستهجان فيقول: "ولعل من الغريب أن نفرا منهم ذهبوا ينادون بهجر الأساليب العربية القديمة، ويقولون: إنها أصبحت لا تلائمنا فى

العصر الحديث!! وأى تجديد؟ أليست تنبذ تقليد القديم إلى تقليد آخر سقيم؟" ويرى الدكتور شوقى ضيف ، أنهم بالإضافة إلى جهلهم بجماليات الشعر العربى، فإنهم أكثر جهلا بالفنون الغربية، وأن أعمالهم لا تتجاوز الترجمة فقط، والتقليد لمجرد التقليد، وأن هذه الحركة لم تحدث الانقلاب المنشود!! وإنما هى نشاز عارض لا يلائم الشعر العربى، ولا يناسب الذوق العام، فيقول: "ومن المحق أن شعراءنا المعاصرين قل منهم من درس الفن الغربى أو الثقافة الغربية، وخاصة الثقافة الفلسفية، دراسة غيرت الأوضاع الفنية عنده، أو الأوضاع الفكرية، وقد نجد نفرا منهم يستعير عناوين قصائده أو دواوينه من الشعر الغربى، كما يستعير بعض المعانى والأفكار، وهو ضرب من الترجمة، وكذلك أن لا نعتد بالأوزان القديمة، ولا بنظم القوافى، ولا بطريقة القوم فى التعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم، إنما نعتد بشئ واحد، هو التقليد للشعر الغربى تقليدا ننسى فيه شخصياتنا القديمة"، ثم ينتهى إلى القول بأن هذه الحركة كانت تطرفا فى التجديد؛ ولذلك لم "تحدث الانقلاب المنشود(٤)"، غير أنه لفت الأنظار إلى شئ غاية فى الأهمية، وعلى درجة عالية من الخطورة، وهو قوله: "وهذا الجانب عند شعرائنا يجعلنا نذكر الشعراء الغربيين، إذ نرى الشعر عندهم عقيدة ومذهبا من المذاهب يدافعون عنه حياتهم(٥)"، هذا محمول على جهلهم وسذاجتهم بتوجه أولئك، ولكنى قد أخالف الدكتور شوقى ضيف فى هذا وأقول: بل هم على دراية تامة بذلك، وهم يعملون معهم، أو من خلالهم على إفساد تراثنا الشعرى والعربى، بل وتوجيهنا وجهة لا نرضاها - وسيأتيك نبؤها - وكذلك فإن لكل لغة حياة تخصها، وبيئة ترعاها وتحفظها وتخصبها، وكما يقول "أروين أدمان": "ذلك لأن اللغة تشبه الموسيقى على نحو آخر أكثر من مجرد كونها مقاطع، شبيهة بنغمات الموسيقى القائمة بذاتها.. وكل لغة تتألف من إيقاعات متناسقة موزونة بالضرورة(٦)، ويقول أحمد حسن الزيات: "طبيعة الإقليم، ومناخ البلد وأثرهما فى حياة الناس معلوم فى بدائه العقول، فأحوال الإقليم هى التى تنهج لساكنيه سنن معاشهم، ونظام اجتماعهم، وتكون الكثير الغالب من أخلاقهم وطباعهم، ومناظره هى التى تربى ذوق أبنائه، وتغذى خيال كتابه وشعرائه. فالشعر الجاهلى مثلا، صورة صادقة لطبيعة البادية وحياة البدو. وقد اختلف الشعر فى شبه الجزيرة نفسها باختلاف الأماكن، وظل عامل الطبيعة يفعل فعله فى الأدب خلال القرون ... دون أن يمحى ويبيد"(٧) ، ولكن الشئ الذى يبعث على الريبة، ويدعو إلى التشكك فى

النوايا؛ أن هذه الحركة تقودنا من حيث تدرى أو لا تدرى إلى العزف على موسيقى المعابد اليهودية!! وتنزع من الشعر العربى خصائصه التى تميز بها عبر تاريخه الطويل من الاستقلالية، وتحوله إلى شعر راقص - كما هو موجود الأن -تحت أنغام موسيقى الشعائر اليهودية يقول: "هوجولا يختتريت" !! "ما من شك فى أن موسيقى المعابد اليهودية كانت تعتمد إلى حد كبير على مزامير دواود، ويضاف إلى هذا، أن المسيحيين الأوائل قد نقلوا ترتيل المزامير إلى الصلاة المسيحية"(٨)!! وتوضيح هذه الحقيقة يبدأ من حيث إن نظم الشعر فى اللغة العربية فن مستقل بذاته، بين الفنون التى عرفت فى العصر الحديث، باسم الفنون الجميلة. وتلك مزية نادرة جدا بين أشعار الأمم الشرقية والغربية، فإن كثيرا من أشعار الأمم إنما تكسب صفتها الفنية بمصاحبة فن آخر، كالغناء، أو الرقص أو الحركة على الإيقاع، ولكن النظم العربى فن معروف المقاييس والأقسام بعد استقلاله عن الغناء والرقص، والحركة الموقعة، فلا يصعب تمييزه شطرة شطرة، بمقياسه الفنى من البحور والأعاريض إلى الأوتاد والأسباب(٩)، بهذا تتفوق اللغة العربية على سائر اللغات، بل وعلى أخواتها من اللغات السامية، فإننا إذا أخذنا - مثلا - سطرا على حدة من قصيدة عبرية، لم نستطع أن ننسبه إلى وزن محدود أو مقياس متفق عليه. ولابد من اقترانه بسطور أخرى، يتم بها الإيقاع، ولا تطرد فى قول شاعر، ولا فى سطور كل قصيدة، فهو والفاصلة النثرية التى يمكن أداؤها بالغناء، أو بالإيقاع على حركة الرقص متساويان. فالشعر الذى لا يضبط بالوزن أو القافية - كما يقول العقاد - موجود فى اللغات السامية واللغات الآرية، وبعضه لا يزيد الإيقاع فيه على الموازاة بين السطور بغير ضابط متفق عليه. وبعضه يضبط فيه الإيقاع بعدد المقاطع والنبرات، ولا ينتهى إلى قافية ملتزمة فى القصيدة، أو المقطوعة الصغيرة. إنما الوزن المقسم بالأسباب والأوتاد والتفاعيل والبحور، خاصة عربية نادرة المثال فى لغات العالم، وكذلك القافية التى تصاحب هذه الأوزان، ويرجع ذلك إلى أسباب، أهمها سببان: الأول: الغناء المنفرد. والثانى: بناء اللغة العربية نفسها على الأوزان وأصالته فيها ، فالمصادر فيها أوزان ، والمشتقات أوزان وأبواب الفعل أوزان، وقوام الاختلاف بين المعنى، حركة على حرف الكلمة تتبدل بها دلالته، بل يتبدل بها الفعل فيحسب من الأسماء، أو يحتفظ بدلالته على الحدث حسب الوزن الذى ينتقل إليه(١٠).

وإذا كان الشعر العربى يزخر بستة عشر بحرا، وأكثر هذه البحور قد يتخذ صورتين أو أكثر - فيما يعرف بالتجزئة - وهذا الغنى العظيم فى الأوزان ليس له نظير فى أية لغة من اللغات الأوربية، ثم إن لكل وزن من هذه الأوزان له صفة تميزه على سواه، فكم من النغمات الشعرية تعزف بها البحور العربية!! وبالمقابلة مع الوزن فى الشعر الغربى، فإنها لا تعدو أن تكون خمسة أوزان فقط، وبعضها أكثر ذيوعا وانتشارا من بعض. وهى لا تقاس بالتفعيلات - كما هو شأن البحور العربية - ولكنها تقاس بالمقاطع. ففى الشعر الغربى، يكون بكل سطر عدد من المقاطع: ثمانية أو عشرة أو أكثر، أو أقل، مرتبة ترتيبا خاصا، كأن يكون المقطع الطويل أولا، ثم القصير، أو بالعكس بأن يبدأ بالقصير ويتلوه الطويل، أو أن يكون هناك مقطع طويل يتلوه مقطعان قصيران، أو بالعكس. وفى الشعر الإنجليزى تكون المقاطع بالقوة والضعف والنتيجة واحدة، وهذه الأوزان المختلفة فى الشعر الغربى تقابل البحور فى الشعر العربى!! وللحق نقول: إن هذه الأوزان برغم قلتها فى الشعر الغربى، فقد استطاع البارعون من شعرائهم أن ينوعوها من حيث ترتيبها وتنسيقها وتقفيتها، مزدوجة أو رباعية، أو غير ذلك، حتى استقامت لهم صور كثيرة فى العصر الحديث، وإن كانوا قبل ذلك قد التزموا وزنا واحدا، أو وزنين لا يخرجون عنهما بحال، حتى ضاق الناس وضجروا من هذه النغمات المتكررة(١١).

على أننا لا نجد فى العصر الحديث أيضا ما نأخذه عن الغربيين فى ميدان الشعر يقول الأستاذ العقاد: أما فى النظم، فلا خفاء بالأمر من أيسر نظرة إلى آدابنا وآداب الأمم الغربية، التى نتصل بها فى العصر الحديث، فمما لا تردد فيه أن هذه الأمم لم تبدع فى موازين النظم بدعا نستفيده منها، ولم نكن قد سبقناها إليه فى عصر من عصورنا. فإذا التزموا الأعاريض معتدلين أو مبالغين، فليس عندهم ما هو أدق وأجمل من الموشحة فى أوزانها، التى تقبل التنويع والتشجير إلى غير نهاية(١٢)، ويقول أيضا: "لم يبدع الأوربيون - حتى فى شعر المسرحيات الملحنة - فنا من الأناشيد أتم من الموشحة. فإذا ترخص الشاعر الغربى فى القواعد، فأسقط القافية واختار الوزن الذى يسمونه بالنظم الحر، أو النظم الأبيض، فجهد ما بلغوا إليه، أنهم عادوا إلى الأسطر المتوازنة، أو إلى الاكتفاء بالمقاطع التى لا تبلغ فى دقتها مبلغ الأسباب والأوتاد والفواصل(١٣)، وكل أولئك طور من الأطوار التى تخطاها الشعر

العربى فى الأزمنة الماضية... فليس عند الغرب من فنون النظم جديد نأخذ منه فى أبواب التوزين والتنويع"(١٤)٠ ومع أن الدكتور طه حسين ظلم الأدب العربى إلى جانب نصفته للأدب الفرنسى، والأدب الإنجليزى والأدب الألمانى(١٥) إلا أنه لم يبارك حركة الشعر الحر، التى ظهرت مؤخرا. وقد وافقه على ذلك أحمد أمين والدكتور عبد الوهاب عزام، والدكتور محمد عوض محمد، يقول: وقد وجد فى وقتنا هذا من ينادى بالتحرر من القافية، وإرسال الشعر تقليدا لبعض اللغات الأفرنجية، ولكن لم تلق هذه الدعوة عند شعرائنا قبولا(١٦)" ويقول أيضا: "ولعل السبب الذى دفع بعض الكتاب لأن يزعم أن الوزن ليس من الشروط الضرورية للشعر، أنهم رأوا أن النثر البليغ قد يبلغ من التأثير فى النفوس ما يبلغ الشعر، وقد اتبع فى تأليفه الروح السائد فى الشعر، وهذا النثر يمكن أن يطلق عليه اسم: النثر الشعرى، ولكن الأوفق ألا نخلط بينه وبين الشعر الصرف(١٧)".

ومع عدم قبول هذه الحركة عندنا، فإنها بالقدر نفسه أو أشد لا تلاقى قبولا أو ترحابا من الغرب إلا إذا شبه العلمانيون الشجاع بالحوت، كما يقول أحمد الشايب: والمستحيل بتربيع الدائرة أو الضمير الإنسانى بالغول أو الأبيض بالثلج كما يفعل الفرنجة، وإلا كانوا قصار النظر بدائيين، لا يصلح أدبهم... ويقول أيضا: نلاحظ أن الجيل المعاصر من الأدباء، أخذوا فى محاولة تغريب الأدب العربى، بإنشاء صور مقلدة للآداب الأجنبية وفنونها ووزنها، كما يحاول الموسيقيون إخضاع الأغانى العربية للألحان الأوروبية، ويرتكبون فى سبيل ذلك شططا، وكثيرا ما يفسد الأسلوب العربى واللحون الأصيلة لموسيقانا، ظانين أنهم يرقون الأدب والفن، ولكن ما ظهر لهم فى هذا المجال حتى الآن لا يبشر بنجاح فى الإنشاء والنقد جميعا(١٨). ولعل فصل الخطاب فى توصيف أصحاب هذه الحركة فى الشعر العربى، ما قاله أبو القاسم الآمدى المتوفى ٣٧٠هـ مع افتراض أنهم يلتزمون التزاما كاملا بقواعد الشعر العربى، والتى سأشير إليها بعد - يقول الآمدى: ثم إن العلم بالشعر قد خص بأن يدعيه كل أحد، وأن يتعاطاه من ليس من أهله... . وليس الشعر عند أهل العلم به إلا حسن التأتى، وقرب المأخذ، واختيار الكلام، ووضع الألفاظ فى مواضعها، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه، المستعمل فى مثله، وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة لمعناه؛ فإن الكلام لا يكتسى البهاء والرونق إلا إذا كان بهذا الوصف، ثم

يقول: وإذا كانت طريقة الشاعر غير هذه الطريقة، وكانت عبارته مقصورة عنها، ولسانه غير مدرك لها حتى يعتمد دقيق المعانى من فلسفة يونان أو حكمة الهند، أو أدب الفرس، ويكون أكثر ما يورده منها بألفاظ متعسفة، ونسج مضطرب، وإن اتفق فى تضاعيف ذلك شئ من صحيح الوصف، وسليم النظم!! قلنا له: قد جئت بحكمة وفلسفة ومعان لطيفة حسنة، فإن شئت دعوناك حكيما، أو سميناك فيلسوفا، ولكن لا نسميك شاعرا، ولا ندعوك بليغا؛ لأن طريقتك ليست على طريقة العرب، ولا على مذاهبهم(١٩)"؟!!

وأنا أقول : هم ليسوا فى الحقيقة شعراء، ولا يعبرون فى شئ عن الشعر العربى، خاصة وأنهم افتقدوا بعض الركائز الأساس فى نظم الشعر، وهى الوزن والقافية، وهما من دعائم الشعر العربى،وكذلك المعانى والأساليب العربية، والتعبير الصادق والأمين عن مناخ هذا الشعر، وما تنفعل به لغته من مؤثرات داخلية أو خارجية وبوحى من ضمير الأمة؛ ولذلك تجد كتاباتهم - لا أقول نظمهم أو شعرهم؛ لأنه ليس نظما ولا شعرا - ينبو عنها الطبع، ولا تألفها الروح، ولا تأنس بها المشاعر، ولا يرق لها القلب. بل ثقيلة على النفس، نشاز على الأذن، لا تخالط الوجدان، ولا تأخذ بمجامع القلوب؛ لأن ماءها ذاهب فى أغوار كدرة، ليس فى عذوبة ولا نقاء قطرات سماوات العروبة الصافية. يقول على بن عبد العزيز الجرجانى: "الشعر علم من علوم العرب، يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء، ثم تكون الدربة مادة له، وقوة لكل واحد من أسبابه، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز؛ وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان. ولست أفضل فى هذه القضية بين القديم والمحدث، والجاهلى والمخضرم، والأعرابى والمولد(٢٠)، ويقول عن مواقع الكلام فى النفوس: "تجد منه المحكم الوثيق والجزل القوى، والمصنع المحكم، والمنمق الموشح، قد هذب كل التهذيب، وقف غاية التثقيف، وجهد فيه الفكر، وأتعب لأجله الخاطر، حتى احتمى ببراءته عن المعائب، واحتجز بصحته عن المطاعن، ثم تجد لفؤادك عنه نبوة، وترى بينه وبين ضميرك فجوة(٢١)..." هذا على فرض أنهم جاءوا به وافرا، متسقا منضدا، صحيحا، جمع بين جودة الملكة الإبداعية وحسن الصنعة. وأما إذا خالطته العصبية للغرب، ومشايعة مذاهبها فى نظم الشعر، واستحكمت فيه هذه العصبية فيقول عنها الجرجانى: "غير أن العصبية ربما كدرت صفو الطبع، وفلت حد الذهن، ولبست العلم بالشك وحسنت

للمنصف الميل، ومتى استحكمت ورسخت صورت لك الشئ بغير صورته، وحالت بينك وبين تأمله، وتخطت بك الإحسان الظاهر إلى العيب الغامض، وما ملكت العصبية قلبا فتركت فيه للتثبت موضعا، أو أبقت منه للإنصاف نصيبا(٢٢)"!!

٥- الهدف الأكبر لحركة الشعر الحر

طبيعة البحث العلمى تفرض علينا أن نعود إلى الأصول والمصادر فى الأمور التى نقوم بدراستها، فذلك أدل على الوقوف على حقائق هذه الأمور، وأعون على استلهام النتائج الصحيحة منها، وإن قضية الشعر الحر، وإن لاقت رواجا محدودا لدى بعض الشعراء الغربيين، فإن ذلك يتناسب وطبيعة لغاتهم وقومياتهم ودياناتهم ومذاهبهم وتوجهاتهم يقول أحمد حسن الزيات: ليس الأدب إلا التعبير القوى الصادق عن مشاعر المرء، وخواطره وأخيلته، وهذه تتأثر بأحوال العيش، وأنواع العقائد، وأطوار المجتمع، وأنظمة الملك، وتقلبات السياسة ، ومن المفيد الإلمام بهذه العوامل المؤثرة فى الأدب؛ لتكون دستور المؤرخ، وشريعة الأديب، ونبراس الباحث(٢٣).

٦- حياة الأمم وتفكيرهم فى مفردات لغاتهم

ومما يؤكد على عمق الصلة بين اللغة وعقلية أصحابها وعاداتهم، أننا نجد الألفاظ العربية تدل على تفكير العرب ونظرتهم إلى الأشياء. ذلك أن فى تسميتهم للأشياء بأسماء بعينها، وفى إطلاق لفظ دون غيره عليها، واختيار صفة من صفاتها ما يدل على اتجاههم فى التفكير، وإن كان العرب كذلك تسمى الشيئ باسم غيره - كما يقول ابن قتيبة - إذا كان مجاورا له، أو كان منه بسبب(٢٤)" فاستعمالهم العامل للوالى والحاكم، يدل على أنهم فهموا الولاية بعد الإسلام على أنها عمل من الأعمال، واستعمالهم لفظ : المرء والمرأة، يدل على تساوى الرجل والمرأة فى الأصل عندهم، ولفظ المروءة مشتق منهما معا، ومعناه: الصفات المستحسنة المأخوذة من أخلاق الإنسان ذكرا كان أو أنثى، ويقول محمد المبارك: ولو أنك قابلت بين هذه الألفاظ وأمثالها من اللغات الأخرى، كالفرنسية والإنجليزية، لوجدت اختلافا فى طريقة التسمية، وفى اختيار الصفة التى بها تكون التسمية، فإنه يلاحظ:

أولا - أن اللغات الأخرى قلما تحتفظ بالمعانى الأصلية الدالة على أمثال هذه المسميات. أما اللغة العربية، فهى فى غالب الأحوال تحتفظ بالمعانى الأصلية للألفاظ التى تطلقها على مسميات جديدة. وبذلك تبقى

علة التسمية ظاهرة فى الغالب، وقد تكون خفية وقد تدق ، ولكنها فى الجملة معللة. ثانيا : طريقة التسمية، فينما نرى الفرنسى مثلا قد أطلق لفظ "blsc clette" أى ذات الدولابين، على أداة الركوب المعروفة بهذا الاسم عندهم وهى الدراجة عند العربى، فالفرنسى حللها إلى أجزائها، ونظر إلى تركيبها، وإلى حالتها الساكنة. ونظر العربى إلى وظيفتها، وعملها، وحركتها فسماها الدراجة. وكذلك لفظ السيارة، سماها الفرنسى "automoblle" أى المتحرك بنفسه، وسماها العربى بلفظ يدل على عملها. إن العرب يذهبون حين التسمية إلى أخص صفات المسمى وأبرزها، أو إلى عمله الأساس ووظيفته أكثر من ذهابهم إلى ظاهره وشكله الخارجى، أو تركيبه وأجزائه(٢٥).

٧- الشعوب المتحضرة تتمسك بعقائدها

وإذا كانت اللغة مرآة للأمة ترى فيها فكرها وثقافتها وحضارتها وعاداتها وتقاليدها وقيمها، فإن الدين هو حياتها وهو أساس حضارتها ومجدها، وخاصة فى الشعوب ذوات العراقة. فالعقائد هى اللبنات الأولى فى تكوين الشعوب والأمم، وصياغة وجدانها، وتربية أخلاقها، وتكوين ثقافاتها وتعميقها، وصقل علومها، وترسيخها. فإذا لم تكن سلوكا فى حياة أفرادها، صارت شعارا وقلائد ومذاهب تدافع عنها بحياتها، وتحمى حماها فى حياتها الفكرية والأدبية والسياسية والاجتماعية وهذا ما نشاهده - من ارتباط هذه الشعوب بتقاليدها الدينية، وتراثها الحضارى - فى الأعمال الإبداعية والفكرية والفنية عند الغرب، وخاصة فى مجال الشعر، يقول العلامة جلبرت مورى - وهو من ثقات البحث فى الأوزان والأعاريض- : "إن نتائج هذا الاختلاف زيادة الاعتماد على القافية فى اللغات الحديثة، ففى اللغتين اللاتينية واليونانية ينظمون بغير قافية؛ لأن الأوزان فيهما واضحة، وإنما تدعو الحاجة إلى القافية لتقرير نهاية السطر، وتزويد الأذن بعلامة ثابتة للوقوف، وبغير هذه العلامة لا يستبين للسامع، هل هو مستمع لكلام منظوم، أو كلام منثور"، ويقول أيضا: "إن اللغة الفرنسية حين رجع فيها الوزن إلى مجرد إحصاء للمقاطع، وأصبحت المقاطع بين مطولة وصامتة، نشأت فيها من أجل ذلك حاجة ماسة إلى القافية... ودعا الأمر إلى تقطيع البيت أجزاء صغيرة؛ ليفهم معناه(٢٦)".

يقول العقاد: ومن أسباب الاكتفاء بالوزن دون القافية فى أشعار الغربيين، سبب لم يذكره الأستاذ مورى، وهو غناء الجماعة للشعر المحفوظ، فحيث شاعت أناشيد الجماعة قل الاعتماد على القافية، وكثر

الاعتماد على حركات الإيقاع، ولو لم تكن متناسقة الوزن على نمط محدود؛ لأن الغناء بالكلام المنثور ممكن مع توازن الفواصل وموازاة السطور"، ثم يضع الأستاذ العقاد حجر الزاوية فى ذلك البناء كله فيقول: وأناشيد الجماعة قد شاعت بين العبريين؛ لأنهم قبيلة متنقلة، تحمل تابوتها فى رحلتها، وتنشد الدعوات معا فى صلواتها الجامعة، وفى هذه الدعوات ترانيم على وقع الدفوف، كما جاء بالإصحاح الخامس عشر من سفر الخروج، "أخذت مريم النبية الدف بيدها وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص. وأجابتهم مريم رنموا للرب فإنه قد تعظم...(٢٧)"، فهذا منطلق دينى بحت، وكذلك شاعت بين اليونان أغانى المسرح، التى ترجع فى نشأتها إلى الشعائر الدينية، ثم انتقلت منها إلى الأمم الأوروبية(٢٨)، فكأن ما يفعله العلمانيون عندنا من بتر الشعر العربى وهلهلته ونقض نسيجه ليحاكى بعض ما عند الغرب فى العصر الحديث المسمى بالشعر الحر، وقد عمروا به الساحة العربية، وأفسدوا معه الذوق العربى والحس العربى ولغة الشعر العربية ، وهم يحسبون أنهم يجددون الشعر العربى، وكل ما قدموه إن هو إلا إحياء للشعائر اليهودية والمسيحية سواء أرادوا أو لم يريدوا!! ولعل هذا هو الهدف الأكبر!!.

٨- بضاعتنا ردت إلينا

لعل الأسباب التى ذكرتها سلفا ساهمت فى كشف أنهم قد استبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير، ولذلك ترى نتاجهم وقد ذهب سحره، وانطفأ بريقه، وغار ماؤه، وعافت القرائح أن تحفظه وتعيه، ولم تطرب له الأذن، ولم يجد طريقه إلى القلوب والمشاعر، يقول "أرنست فيشر" : وإذا كانت وظيفة الفن الأساسية بالنسبة للطبقات التى تستهدف تغيير العالم، لا يمكن أن تكون السحر، بل التنوير والحفز إلى العمل، إلا أن هناك فى الفن بقية من السحر ، لا يمكن التخلص منها تماما؛ لأن الفن بغير هذه البقية من طبيعته الأصلية لا يكون فنا على الإطلاق. إن الفن فى أى صورة من صوره، جادا كان أم هازلا، راميا إلى الإقناع أم إلى الإيحاء، متعقلا أم متخليا عن العقل، ملتزما بالواقع أم ممعنا فى الخيال لابد أن يكون متصلا بالسحر اتصالا ما(٢٩)"، وفنون العلمانيين الشعرية خلت من هذا السحر؛ لأنها نبتت فى أرض غير الأرض، وفى مناخ غير المناخ، ونوع الثقافة كما يقول مالك بن نبى: يتحدد فى كل شعب تبعا لحتمية منبعثة من نفسيته، وعلى أساس هذه النفسية اتجه الرومان نحو الإمبراطورية، بينما فرغ الإغريق لتحقيق معجزاتهم فى صورة

حضارة(٣٠)، وإذا كان أبو عمرو بن العلاء يقول: اختيار الرجل الشعر قطعة من عقله(٣١)، ومن المعلوم أن عقولهم معقولة بعلوم الغرب وفنونه وآدابه، وأشعاره، ومن ثم فهى عاجزة عن الغوص على جمال الشعر العربى وفنونه وأوزانه، وموسيقاه. ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه، وقد قيل لابن المقفع: لم لا تقول الشعر؟ فقال: لأن الذى ارتضيه لا يجيبنى، والذى يجيبنى لا أرتضيه"(٣٢) فكان ابن المقفع أحسن منهم حالا ولكن الشئ الذى لا يريدون أن يؤمنوا به ويسلموا له ، أن ما أتوا به كان فى الأصل من صناعة عقولنا ، وكان ناضرا ، فجاءونا به فاسدا ذابلا !!.

٩- المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه، والعلمانيون عندنا:

سبق أن بينا - فى أوائل هذا البحث - معاداة الشعوبية لكل ما هو عربى، وكل ما هو إسلامى وذكرنا أن العلمانيين هم الوجه الآخر لشعوبية هذا العصر. وهؤلاء وأولئك ينقصهم الإنصاف والحيدة، ويعوزهم معرفة الحق مجردا عن أى عصبية كانت، ولكن الشعوبية القديمة كانت تدافع عن قومياتها وحضاراتها المنهارة، والتى قامت على أنقاضها الحضارة العربية الإسلامية الزاهية، ولكن الشعوبية الحديثة إلى من تنتمى؟ وعن أى شئ تدافع؟ وما الذى يحركها؟ إنها كالباكية المستأجرة، أو كالذى يعمل ليقبض سيده أجر عمله، أو كرجل فيه شركاء متشاكسون هل يتساوى مع رجل سلم لرجل، هل يستويان مثلا؟! ولكننا فى المقابل نرى أن العقل الإنسانى إذا تحرر من التعصب الدينى والقومى، واستعلى على الأحقاد الموروثة، وقشع عن عينيه غشاوة الجهالة إذا تسنى له ذلك تكشفت له الأمور على حقائقها، ثم بهرته الحقيقة التى كانت غائبة عنه. وهذا ما حدث مع المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه، فقد كشفت لنا عن حقائق كانت غائبة حتى عن أصحابها من العرب والمسلمين، ومن جملة هذه الحقائق، حقيقة قد لا تعجب العلمانيين، وهى ريادة الشعر العربى للشعر الغربى، بل وللشعر فى العالم أجمع، وقد ازدان الشعر العربى بالوزن والقافية، وقد ساعده على ذلك ما تمتاز به اللغة العربية على نظائرها من لغات العالم، بأن أصل كل كلمة يتكون من عدد من الحروف الساكنة والمتحركة والحروف الساكنة تبقى ولا تتغير. أما الحروف المتحركة، فهى التى تتغير تبعا للمعنى وخضوعا لقواعد اللغة، مما أوجد فى اللغة عددا لا يحصى من الكلمات، تختلف فى حروفها الساكنة وتتفق فى الحروف المتحركة، فهى كلمات يسهل استخدامها كقافية للشعر وأيضا تسهل وزنه، وقد سيطر هذا الطابع العربى المميزة -

بالوزن والقافية – على الشعر فى العالم، وطغى على الطابع الإغريقى واللاتينى والجرمانى، وبرغم أن اللغات الجرمانية، خاصة الألمانية، يصعب استخدامها فى القافية، فقد اتخذت الطابع العربى طابعا لها، ونبذت الأصول الجرمانية والإغريقية حتى صارت غريبة عنها، ولو لم يفعل الشعب هذا لما وصلت القصائد الغنائية عند جوته(٣٣) وغيره من الشعراء المبرزين إلى ما وصلت إليه من شهرة عالمية ... وتتساءل هونكه: كيف شق الوزن والقافية طريقهما ليصبحا طابعا للأشعار العالمية؟ وتقول: إن أول التأثيرات الشرقية قد وردت إلى الغرب عبر بيزنطية فى صلوات اليهود فى القرن الأول الميلادى، وفى القصائد الدينية للكنيسة الرومانية الشرقية. وحمل رهبان مصر وسورية معهم إلى بيزنطية وأديرة الغرب الطابع العربى، الذى عاش غريبا إلى جوار الطابع الإغريقى الرومانى، وظلت القافية لا تراعى مدة خمسة قرون كاملة، ولم تتخذ شكلا واضحا فى الأشعار إلا فى القرن الحادى عشر. وأما الوزن فقد ظهر فى الشعر لأول مرة حوالى عام (٨٦٠م) فى الشعر الدينى الذى نظمه أوتفريد، ثم تذكر طورا آخر من أطوار الشعر العربى، وكيف أن الغرب استحسنوه وأخذوا عنهم، فتقول: وظل الشعر العربى يلتزم القافية حتى خرجت على ذلك مدارس جديدة، كان فى طليعتها أبو نواس، وشعراء الأمويين فى قرطبة، وخرج إلى الوجود شعر غنائى مختلف القوافى، وساهم فى هذا النوع من الشعر : الفردوسى وعمر الخيام فى إيران، وما لبثت أن انتشرت هذه القصائد من قرطبة إلى قرى القوقاز الهندية، ومن نيسابور حتى النيجر ونهر الكنج. وتميز ذلك النوع الجديد بتقسيم القصيدة إلى مقاطع، لكل مقطع قافية مختلفة، ولم تلبث أوروبة أن رحبت بهذا النوع من الشعر.

ومازالت ترانيم عيد الميلاد تحمل حتى اليوم، ذلك الطابع العربى وأثر طابع الشعر العربى على إيطالية تأثيرا أكبر، ونشاهد ذلك واضحا فى أشعار فرنسيس الاسيزى، وفراجاكا باناداتودى، وميكيافيللى، قد نظموا على أسس لأوزان العربية. كما بقى ذلك الأثر العربى أوضح ما يكون فى صقلية وتوسكانا والبندقية (٣٤) ..."أ. هـ وأستميح – القارئ الكريم عذرا إن كنت قد أطلت فى النقل عنها، ولكنى أردت أن نتعرف على رأى هذه المستشرقة فى هذه المسألة العظيمة، حتى نجلعه فى وجه هذه الطائفة من العلمانيين، ونعلم أنه يجزنهم، وسواء اتفقنا معها فى بعض هذه التفاصيل، أم اختلفنا، ولكن النتيجة فى مجملها واحدة، وهى أن العرب

رواد الأمم فى ميدان الشعر، وأن لغتهم على رأس لغات العالم، ولو كانت ثمة لغة أخرى أجدر منها لنزل بها القرآن الكريم.

وبعد أن وضحت إمامتنا للغرب فى ميدان الوزن والقافية، ثم أظهر نفر منهم التراجع والمناداة بتحرر الشعر الغربى منهما أو من القافية، فهذا لا يبرر هذا التقليد الأعمى من جانب العلمانيين لهذا الاتجاه وذلك المنحى؛ لأن قواعد الشعر العربى تتنافى مع هذه الدعوة جملة وتفصيلا.

١٠- تعريف الشعر عند العرب ، وبيان فضله

يقول ابن رشيق: الشعر، يقوم بعد النية على أربعة أشياء، وهى: اللفظ ، والوزن ، والمعنى، والقافية. فهذا هو حد الشعر(٣٥).

وعرفه أحمد حسن الزيات بأنه: الكلام الموزون المقفى، المعبر عن الأخيلة البديعة، والصور المؤثرة البليغة(٣٦)، وعلى كل حال فلا خلاف حول تعريف الشعر عند العرب (٣٧) والشعر فى لغة العرب: الفطنة، ومعنى قولهم: ليت شعرى أى ليت فطنتى والشعر أبلغ البيانين، وأطول اللسانين، وأدب العرب المأثور، وديوان علمها المشهور. ولموضع قدر الشعر فى العرب قال رؤبة بن العجاج فى الحرب، التى كانت بين بنى تميم والأزد: يا بنى تميم أطلقوا لسانى، أى افعلوا ما أقول فيه. ويقال:إنه ارتج على النابغة أربعين سنة، ثم كانت لبنى جعدة – قوم النابغة – وقعة ظهروا فيها على عدوهم، فاستخف النابغة الفرح، فراض القريض فلان له ما كان استعصى عليه فقالوا: والله لنحن بإطلاق لسان شاعرنا. أسرمنا بالظفر بعدونا. بل كان الشاعر فى الجاهلية، إذا نبغ فى قبيلة ركبت العرب إليها، فهنأتها به؛ لذبه عن الأحساب، وانتصارهم على الأعداء(٣٨)، والشعراء عند العرب وفى الإسلام أكثر من أن يحيط بهم حصر، حتى لتخال أن أغلب الأمة شعراء، أو أمة من الشعراء كما تقول هونكه(٣٩) إذا اعتبرنا قائل الشعر، والمتذوق له. يقول ابن قتيبة: والشعراء المعرفون بالشعر عن عشائرهم وقبائلهم فى الجاهلية والإسلام، أكثر من أن يحيط بهم محيط، أو يقف من وراء عددهم واقف، ولو أنفذ عمره فى التقيير عنهم واستفرغ مجهوده فى البحث والسؤال. ولا أحسب أحدا من علمائنا استغرق شعر قبيلة حتى لم يفته من تلك القبيلة شاعر إلا عرفه، ولا قصيدة إلا رواها(٤٠).

١١- صلة الشعر بالقرآن الكريم

لا نقصد هذه الصلة التى يراها البيانيون، والتى يعبر عنها ابن الأثير بقوله: ونحن فى استعمال ما نستعمله من الألفاظ واقفون مع الحسن لا مع الجواز، "وهذا يرجع إلى حاكم الذوق السليم؛ فإن صاحب هذه الصناعة، يصرف الألفاظ بضروب التصريف، فما عذب فى فمه منها استعمله، وما لفظه فمه تركه(٤١)"، ولا ما طلبه الجاحظ بقوله: "طلبت علم الشعر عند الأصمعى فوجدته لا يحسن إلا غريبه، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه، فعطفت على أبى عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما يتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب، فلم بما أردت إلا عند أدباء الكتاب، كالحسن بن وهب، ومحمد بن عبد الملك أظفر الزيات (٤٢). وإنما أريد هذه الصلة التى يعبر عنها ابن قتيبة بقوله: من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الأدب، والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم فى الغريب، وفى النحو، وفى كتاب الله عز وجل، وحديث رسول الله ﷺ" فهؤلاء الشعراء الذين يحتج بأشعارهم(٤٤). يرجع إليهم من يتصدى لتفسير كتاب الله لمعرفة معنى ما غمض أو أبهم من ألفاظ القرآن الكريم، ومدى استخدام العرب لهذه الألفاظ، وتصرفهم فيها، يقول المبرد روى أبو عبيدة قال: كان ابن عباس يقول: إذا أشكل عليكم الشئ من القرآن فأرجعوا فيه إلى الشعر؛ فإنه ديوان العرب، وكان يسئل عن القرآن فينشد الشعر"(٤٥)، ويروى الأنبارى عن ابن عباس أيضا، أنه قال: إذا سألتمونى عن غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر؛ فإن الشعر ديوان العرب. وقد سبقه إلى ذلك عمر بن الخطاب، فقد سأل عمر أصحابه عن معنى قول الله تعالى: ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾(٤٦) فيقوم له شيخ من هذيل فيقول له: هذه لغتنا التخوف: التنقص. فيقول له عمر : هل تعرف العرب ذلك فى أشعارها. فيقول له نعم ، ويروى له قول الشاعر:

تخوف الرجل منها نامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن

فيقول عمر لأصحابه: عليكم بديوانكم لا تضلوا. قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية ، فإن فيه تفسير كتابكم ومعانى كلامكم(٤٧).

وكأن عمر بن الخطاب وابن عباس - رضى الله عنهما- يقران بجعل هذا الشعر مرجعا لفهم ما دق وأشكل من ألفاظ القرآن الكريم، فقد أورد الأصفهانى بينا ابن عباس فى المسجد الحرام وعنده نافع بن الأزرق، وناس من الخوارج يسألونه، إذ أقبل عمر بن أبى ربيعة فى

ثوبين مصبوغين، موردين أو ممصرين(٤٨) حتى دخل وجلس، فأقبل عليه ابن عباس، فقال أنشدنا فأنشده

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر غداة غد أم رائح فمهجر

حتى أتى على آخرها، فأقبل عليه نافع بن الأزرق فقال: الله يا ابن عباس! إنا نضرب إليك أكباد الإبل من أقاصى البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتتثاقل عنا، ويأتيك غلام مترف من مترفى قريش فينشدك:

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت فيخزى وأما بالعشى فيخسر

فقال: ليس هكذا قال. قال: فكيف قال؟ فقال: قال:

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشى فيخصر(٤٩)

فأنشده القصدية حتى أتى على آخرها(٥٠)" وهذا يدل على حب ابن عباس للشعر وولعه به، بل ودقته فى معرفة لغة العرب. وقد أعانه ذلك على أن يفسر غريب القرآن الكريم بما تقوله العرب فى أشعارهم؛ لأن القرآن نزل بلسان عربى مبين. وسؤالات نافع بن الأزرق ونجدة بن عريم لابن عباس مشهورة فى هذا... بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد أسدل رجله فى حوض زمزم، إذ الناس قد اكتنفوه من كل جانب يسألونه عن تفسير القرآن وعن الحلال والحرام... فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عريم: قم بنا إلى هذا الذى يجترئ على تفسير القرآن والفتيا بما لا علم له به، فقاما إليه... وقال نجدة: فإنك تريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله عز وجل فتفسره لنا، وتأتينا بمصداقة من كلام العرب؛ فإن الله عز وجل أنزل القرآن بلسان عربى مبين، قال ابن عباس: سلانى عما بدا لكما تجدا علمه عندى حاضرا إن شاء الله تعالى. فسألاه عن مائتين وثلاث وستين موضعا فى القرآن الكريم فى مائتين وخمسين مسألة، فأجابهم، وكانا يسألانه فى كل موضع من هذه المواضع. هذا السؤال، وهل تعرف العرب ذلك؟ أو أو تعرف العرب ذلك؟ فكان ينشدهم بيتا من الشعر، أو أكثر، مما قالت العرب، حتى وصلت الأبيات التى استشهد بها إلى مائتين وواحد وثمانين بيتا من الشعر(٥١)، ولعل هذه المحاولة المبكرة كانت تستهدف كشف غموض لفظ، أو الوقوف على الخصائص التعبيرية فى الألفاظ، وتركيب العبارة، وغير ذلك قبل أن تدون مصطلحات البلاغة؛ لتوظيفها فى البحث عن مواطن الإعجاز فى القرآن الكريم، والوقوف على مشكلة التغير أو التحول فى دلالات الألفاظ، أو

بنائها أو مواضعها من الآيات ولكن كيف يقف الإسلام من الشعر؟ وما حكم الشعر فى الإسلام؟.

١٢- حكم الشعر فى الإسلام

لا نطلب الحكم الشرعى على طريقة من طرق الكلام، بل على أبدع فن من فنون القول، وهو الشعر، وإنما ننظر إلى هذه المسألة من جهة، إذا تضمن الشعر معنى منهيا عنه فى الشرع، كالكذب والسباب والهجاء والتفاخر ، والرياء، أو كأن يشغل صاحبه عن ذكر الله أو عن قراءة القرآن الكريم فللعلماء فى حكم نظم الشعر قولان:

الأول: الإباحة: وهو المنقول عن كافة العلماء قديما وحديثا. يقول ابن قدامة "ليس فى إباحة الشعر خلاف"(٥٢)، ويقول ابن عبد البر: "لا ينكر الحسن من الشعر أحد من أهل العلم"(٥٣)، والأدلة على هذا الرأى كثيرة متضافرة، منها قوله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون﴾(٥٤) ووجه الاستدلال هنا، أن الله تعالى استثنى الشعراء المؤمنين، الذين عملوا الصالحات، وذكروا الله كثيرا، وانتصروا من بعدما ظلموا. فدل ذلك على مدح هؤلاء الشعراء المتصفين بهذه الصفات، وبراءتهم من الصفات التى ذكرت أولا، ودل أيضا على إباحة الشعر(٥٥).

الأدلة من السنة

والأدلة من السنة النبوية كثيرة وقاطعة بالإباحة بل بالاستحباب، كما سيأتى منها: أنه ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال: "إن من الشعر حكمة"(٥٦)، وكان ينصب لحسان بن ثابت منبرا ينشد عليه الشعر، الذى يهجو به المشركين، وقال ﷺ : "إن روح القدس معك مادمت تنافح عن نبيه(٥٧)"، وقال عن عبد الله بن رواحة: "إن أخا لكم لا يقول الرفث(٥٨)"، وسمع قصيدة كعب(٥٩) وأنشدته عائشة شعر أبى كبير الهذلى، وقالت: أنت أحق به، فاستنشدها إياه، فأنشدته:

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

فقال ﷺ : جزاك الله خيرا يا عائشة(٦٠)، وقد أنشده ﷺ كثير من الشعراء منهم: حسان بن ثابت وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن زهير، والعباس بن مرداس، والنابغة الجعدى، كما تمثل بالشعر كثر من الصحابة منهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب، وعثمان،

وعلى ، وبلال ، وأبو الدرداء، وعمرو بن العاص(٦١)، وقال ابن عبد البر: "ليس أحد من كبار الصحابة إلا وقد قال الشعر، أو تمثل به، أو سمعه فرضيه(٦٢)"، بل كان الصحابة يتنافسون الأشعار بين يدى رسول الله ﷺ، وأنشد حسان فى مسجد رسول الله ﷺ فمر به عمر بن الخطاب، فجعل يلحظه فقال: لقد أنشدت فيه، وفيه من هو خير منك - يريد رسول الله - فسكت عمر(٦٣).

القول الثانى: الكراهة، وممن روى عنهم كراهة الشعر: إبراهيم النخعى، وسالم بن عبد الله والحسن البصرى ومسروق بن الأجدع(٦٤)، واستدل أصحاب هذا الرأى بأدلة منها قوله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون﴾.

"الرد على أصحاب الرأى بالكراهة على إطلاقها ، وتوجيه هذا الرأى"

وقد سبق أن ذكرنا أن الذم وقع على طائفة هذه خصالها، ثم استثنى منها أصحاب الصفات الجميلة، فالآيات بتمامها دليل على إباحة الشعر، لا على تحريمه، ثم كان أصح ما استدوا إليه من السنة والوارد فى البخارى ومسلم: "عن عمر بن الخطاب ﷺ مرفوعا: "لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلئ شعرا"(٦٥)، وقد أجاب عنه العلماء من وجوه: قال أبو عبيد: معناه أن يغلب عليه الشعر حتى يشغله عن القرآن والعلم(٦٦)، وكذلك إذا كان القرآن والعلم الغالب، فلا يعد جوف هذا ممتلئا من الشعر(٦٧)، أو أن المراد به التنفير عن بعض أنواع الشعر الخاصة، التى تتضمن هجاء المسلمين والقدح فى أعراضهم، أوالتشبيب بامرأة والإفراط فى وصفها(٦٨). أضف إلى ذلك أن الشعر مقر الكذب؛ ولذلك قالوا: أحسن الشعر أكذبه، بل سميت الأدلة الكاذبة بالشعرية يقول السمين الحلبى: ولهذا فإن شعراء مفلقين كانوا فى جاهليتهم لا يبارون، فلما أسلموا ضعف شعرهم كحسان ولبيد وغيرهما(٦٩). ولكن يرد هذا ويدفعه ما ذكرناه فى آيات الشعراء سلفا، وكذلك ما ذكره السيوطى بقوله: وليعتن بحفظ أشعار العرب، فإن فيه حكما ومواعظ وآدابا، وبه يستعان على تفسير القرآن والحديث(٧٠). قال البخارى فى الأدب المفرد: عن عروة عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تقول الشعر منه حسن ومنه قبيح، خذ الحسن ودع القبيح، ولقد رويت من شعر: "كعب بن مالك أشعارا منها القصيدة فيها أربعون بيتا، ودون ذلك"(٧١). وقال البخارى أيضا: حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى سمعت عمرو بن الشريد عن الشريد قال: استنشدنى النبى ﷺ شعر أمية بن أبى

الصلت فأنشدته، فأخذ النبى ﷺ يقول: هيه هيه حتى أنشدته مائة قافية(٧٢).

كل هذه الأدلة وغيرها - كما سيأتيك - تدلك على مكانة الشعر ومنزلته، وكذلك حكمه، وأن هذا الحكم لا يتوقف عند الإباحة، بل يتجاوزها إلى الاستحباب إذا كان مقصودا به خدمة الدين أو حمل فى أطوائه مكارم الأخلاق. وآداب الإسلام وقيمه. أو كان للدفاع عن الإسلام والمسلمين، وتحسين صورتهم التى افتقدوها، وغير ذلك من هذا النحو كما سترى.

"علماء التفسير وآيات الشعراء"

سبق أن ذكرنا أن الشعرلون من ألوان التعبير، ولكن لما كان الشعر متعدد الأغراض، وكانت بعض هذه الأغراض تتعارض مع ما جاء به الإسلام، فكان لزاما علينا أن نوضح رأي الإسلام فى الشعر. وقد تقدم أن بينا حكم الإسلام فى الشعر، من القرآن والسنة وأقوال العلماء، ولكن الآيات الواردة هنا -فى سورة الشعراء - توحي بظاهرها أن القرآن الكريم لا يحفل بالشعر ولا بالشعراء، ولا يدعو إليه، ولا يرغب فيه، بل إنه يذم عليه، ويؤثم قائله وراويه إلا ما أستثنى من ذلك. خاصة وأن الآيات جاءت بصيغة العموم، فتركت هذا الانطباع عند قراءتها لأول وهلة،وكنا قد أتينا بها للتدليل على حكم الشعر، الذي سبق توضيحه، ولكن لم نقف عليها لنزيل هذا الغموض الذي يتبادر منها، ومن ثم كان جديرا بنا أن نعرضها على أئمة التفسير مرة، حتى يكشفوا لنا عن حقيقة موقف القرآن من الشعر. ثم نعرضها مرة أخري على أئمة الفقة والأصول؛ لبيان حكم العموم والخصوص الذي جاءت على مقتضاه هذه الآيات، ولكن على شريطة أن يكون ذلك كله على سبيل الإيجاز والإختصار. وأقول : لقد برع الطاهر بن عاشور فى ربط هذه الآيات بما قبلها، حتى تفسر فى سياقها الصحيح، يقول إبن عاشور: كان مما حوته كنانة بهتان المشركين أن قالوا فى النبي صلي الله عليه وسلم: هو شاعر وكان منها قولهم: هو كاهن، وكان بين الكهانة والشعر جامع فى خيال المشركين، إذكانوا يزعمون أن للشاعر شيطانا يملي عليه الشعر. فناسب أن يقارن بين تزييف قولهم فى القرآن: هو شعر، وقولهم فى النبي ﷺ: هو شاعر، وبين قولهم : هو كاهن كما قرن بينهما فى قوله تعالى (وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون)(الحاقة الآيتان: ٤١: ٤٢) فعطف هنا قوله: (والشعراء يتبعهم الغاوون) على جملة (تنزل على كل أفاك أثيم) (الشعراء آية :٢٢٢) . ولما كان حال الشعراء فى نفس الأمر مخالفا لحال الكهان، إذ لم يكن لملكة الشعر إتصال ما بالنفوس الشيطانية. وإنما كان إدعاء ذلك من إختلاق بعض الشعراء، وأشاعوه بين عامة العرب. إقتصرت الآية على نفي أن يكون الرسول شاعرا، وأن يكون القرآن شعرا، دون تعرض إلى أنه تنزيل الشياطين كما جاء فى ذكر الكهانة (٧٣) ويقول الزمخشري فى تفسير قوله: (والشعراء يتبعهم الغاوون) معناه : أنه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم، وما

هم عليه من الهجاء وتمزيق الأعراض والقدح فى الأنساب والنسيب بالحرم والغزل، ولا يستحسن ذلك منهم إلا الغاوون والسفهاء. وقيل الغاوون: الراوون: وقيل الشياطين، وقيل : هم شعراء قريش : إبن الزبعري وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة الجمحي. ومن ثقيف: أمية بن أبى الصلت قالوا: نحن نقول مثل قول محمد، وكانوا يهجونه ويجتمع إليهم الأعراب من قومهم، يستمعون أشعارهم وأهاجيهم(٧٤) ويقول الإمام الطبري : وأولي الأقوال فى ذلك بالصواب ، أن يقال فيه : ما قال الله عز وجل ثناؤه أن شعراء المشركين يتبعهم غواة الناس ومردة الشياطين وعصاة الجن، وذلك أن الله عم بقوله: (والشعراء يتبعهم الغاوون) فلم يخصص بذلك بعض الغواة دون بعض ، فذلك على جميع اصناف الغواة التى دخلت فى عموم الآية (٧٥) ويقول الألوسي هنا: والحصر مستفاد من بناء "يتبعهم " إلخ على الشعراء عند الزمخشري. ومن لا يري الحصر فى مثل هذا التركيب، يأخذه من الوصف المناسب. أعني أن الغواية علة للإتباع فإذا انتفت انتفي (٧٦) ولكن أبا السعود يقول: ولا ريب فى أن تعليل عدم كونه عليه الصلاة والسلام منهم، بكون أتباعه عليه الصلاة والسلام غير غاوين مما لا يليق بشأنه العالي (٧٧) ويقول الزمخشري فى قوله تعالى " ألم ترأنهم فى كل واديهيمون" : ذكر الوادى والهيوم فيه، تمثيل لذهابهم فى كل شعب من القول وإعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو فى المنطق ومجاوزة حد القصد فيه، حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة، وأشحهم على حاتم ، وأن يبهتوا البريئ ويفسقوا التقي(٧٨) ويؤكد أبو إسحاق الزجاج على هذا المعني بقوله: ليس يعني به أودية الأرض، إنما هو مثل لقولهم وشعرهم، كما تقول فى الكلام: أنا لك فى واد وأنت لى فى واد، وليس يريد أنك فى واد من الأرض، إنما يريد أنا لك فى واد من النفع كبير، وأنت لى فى صنف (٧٩) وقوله "وأنهم يقولون مالا يفعلون" يقول الإمام البيضاوى: وكأنه لما كان إعجاز القرآن من جهة اللفظ والمعني، وقد قدحوا فى المعني بأنه مما تترلت به الشياطين، وفى اللفظ بأنه من جنس كلام الشعراء تكلم فى القسمين وبين منافاة القرآن لهما، ومضادة حال الرسول ﷺ لحال أربابهما (٨٠) ويقول الحافظ ابن كثير :- بعد أن نقل عن إبن عباس قوله: أكثر قولهم يكذبون" - وهذا الذي ذكره قاله ابن عباس، هو الواقع فى نفس الأمر؛ فإن الشعراء يتبجحون بأقوال وأفعال لم تصدر منهم ولا عنهم، فيتكثرون بما ليس لهم (٨١) وقوله: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات

وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا) يقول الفخر الرازي: لما وصف الله تعالي الشعراء بهذه الأوصاف الذميمة بيانا لهذا الفرق، إستثنى عنهم الموصوفين بأمور أربعة: أحدها: الإيمان وثانيها: العمل الصالح وثالثها: أن يكون شعرهم فى التوحيد والنبوة ودعوة الخلق إلى الحق. ورابعها: ان لايذكروا هجو أحد إلا على سبيل الإنتصار ممن يهجوهم(٨٢) ويقول الزمخشري: استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين، الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن، وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر، وإذا قالوا شعرا قالوه فى توحيد الله والثناء عليه، والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة، ومدح رسول الله ﷺ والصحابة وصلحاء الأمة، وما لا بأس به من المعاني التى لا يتلطخون فيها بذنب، ولا يتلهون بشائنة ولا منقصة، وكان هجاؤهم على سبيل الإنتصار ممن يهجوهم من غير إعتداء ولا زيادة(٨٣) ويزيد أبو حيان: وتسهيل علم، وكل ما يسوغ القول فيه شرعا(٨٤) ويضيف البقاعي أيضا : بل نبوا شعرهم على أمرالدين والإنتصار للشرع، فصار لذلك كله ذكر الله (٨٥) وقد أورد إبن كثير بعض أسباب النزول لقوله تعالى : " إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا" وذكر أنها فى شعراء الرسول مثل حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك ثم عقب على هذه الأسباب بقوله: ولا شك أنه استثناء، ولكن هذه السورة - أي الشعراء - مكية، فكيف يكون سبب نزول هذه الأيات فى شعراء الأنصار؟ وفى ذلك نظر، ولم يتقدم إلا مرسلات لا يعتمد عليها، والله أعلم، ولكن شعراء الانصار وغيرهم حتى يدخل فيه من كان متلبسا من شعراء الجاهلية بذم الإسلام وأهله ثم تاب وأناب ، وامتدح الإسلام وأهله، فى مقابلة ما كان يذمة (٨٦) فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. وفى الحكم على الشعر عامة يقول: أبو بكر بن العربي : الشعر نوع من الكلام قال الشافعي: حسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيحه. يعني أن الشعر ليس يكره لذاته، وإنما يكره لمتضمناته. وقد كان عند العرب عظيم الموقع، حتى قال الأول منهم: وجرح اللسان كجرح اليد. وقال النبي ﷺ فى الشعر، الذى كان يرد به على المشركين: إنه لأسرع فيهم من النبل (٨٧) ويقول الكيا الهراسي فى قوله: "والشعراء يتبعهم الغاوون": فيه دليل على كراهة اللهج بالشعر فى مدح أوقدح، من غير أن يحقق معناه لإكتساب مال (٨٨) ولكن الإمام القرطبي يقول عن تناشد الأشعار فى المساجد: اختلف فى ذلك، فمن مانع مطلقا فصل حكم الإسلام فى الشعر:

ومن مجيز مطلقا، والأولي التفصيل، وهو أن ينظر إلى الشعر، فإن كان مما يقتضي الثناء على الله أو على رسوله أو الذب عنهما، أو يتضمن الحض على الخير فهو حسن فى المساجد وغيرها وما لم يكن كذلك لم يجز، إن اشتمل على الفواحش والكذب والتزين بالباطل. وإن خلامن ذلك ولو لم يكن فيه حمد ولا ثناء يجوز (٨٩) وأما الإمام عبد القاهر الجرجاني. فقد عقد فصلا ضافيا فى كتابه - دلائل الإعجاز - للدفاع عن الشعر وروايته وحفظه والإشتغال به، ومن ذلك قوله: من زعم أن ذمه للشعر من اجل ما يجد فيه من هزل وسخف وكذب وباطل، فينبغى أن يذم الكلام كله. ثم يقول: وأما أمره - ﷺ - به فمن المعلوم ضرورة، وكذلك سماعه إياه.. وأما التعلق بأحوال الشعراء : بأنهم قد ذموا فى كتاب الله تعالى ، فما أرى عاقلا يرضى به أن يجعله حجة فى ذم الشعر وتهجينه، والمنع من حفظه وروايته، والعلم بما فيه من بلاغة، وما يختص به من أدب وحكمة. ذاك لأنه يلزم على قود هذا القول أن يعيب العلماء فى استشهادهم بشعر أمرئ القيس، وأشعار أهل الجاهلية فى تفسير القرآن، وفى غريبه وغريب الحديث.. ولو كان يسوغ ذم القول من أجل قائله، وأن يحمل ذم الشاعر على الشعر، لكان ينبغى أن يخص ولا يعم وأن يستثنى، فقد قال تعالى: "إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا"(٩٠)

وهذا يقودنا إلى استطلاع آراء الفقهاء وعلماء الأصول فى مسألة العام إذا خصص، ومعرفة حكم العام بعد تخصيصه، ومعرفة حكم هذا الخاص، ولكن باختصار شديد حتى تتم الفائدة فى هذا المجال.

"علماء الفقه والأصول، وآيات الشعراء من حيث عمومها وخصوصها"

وردت آيات الشعراء، بصيغة العموم فى قوله :"والشعراء يتبعهم الغاوون .. الآيات ثم إستثنى من هذا "إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات.. الآية" وهذا النوع عند العلماء يسمى: العام المخصوص المتصل كما يقول السيوطى. لأن العام يأتى على ثلاثة أقسام: الأول: الباقى على عمومه والثانى: العام المراد به الخصوص. والثالث: العام المخصوص. ثم إن العام المخصوص إما متصل وإما منفصل، والمتصل خمسة، أحدها الإستثناء، وشاهده هذه الآيات التى معنا. وقد فرق العلماء بين العام المراد به الخصوص وبين العام المخصوص بفروق من بينها: أن الأول لم يرد شموله لجميع الأفراد لا من جهة تناول اللفظ، ولا من جهة الحكم. والثانى - وهو العام المخصوص - أريد عمومه وشموله لجميع الأفراد من جهة تناول اللفظ لها، لا من جهة الحكم(٩١). فلذلك يقول الشاطبى: فالتخصيص إما بالمنفصل أو بالمتصل، فإن كان بالمتصل كالاستثناء والصفة والغاية وبدل البعض وأشباه ذلك، فليس فى الحقيقة بإخراج لشيء، بل هو بيان لقصد المتكلم فى عموم اللفظ، أن لا يتوهم السامع منه غير ما قصد(٩٢). ولكن إبن قدامة المقدسى يقول: العام إذا دخله التخصيص يبقى حجة فيما لم يخص عند الجمهور. وقال أبو ثور وعيسى بن أبان: لا يبقى حجة؛ لأنه يصير مجازا. فقد خرج الوضع من أيدينا، ولا قرينة تفصل وتحصل، فيبقى مجملا(٩٣).

ويقول ابن بدران فى الفرق بين الاستثناء والنسخ والتخصيص: إن الاستثناء يتطرق إلى النص كقوله: له على عشرة إلا ثلاثة، بخلاف التخصيص بغير الاستثناء. وأن الاستثناء يرفع حكم بعض النص بخلاف النسخ، فإنه يرفع الكل وإن الاستثناء مانع لدخول المستثنى تحت لفظ المستثنى منه، والنسخ يرفع ما دخل تحت لفظ المنسوخ(٩٤). الحاصل: أن دلالة العام عند جمهور العلماء: أن العام المخصوص يدل على ما بقى من الأفراد بعد التخصيص على سبيل الظن لا القطع؛ لأن الغالب فى دليل التخصيص أن يكون معللا، وهذه العلة قد تتحقق فى أفراد أخرى مما بقى بعد التخصيص، ومع وجود هذا الاحتمال لا تكون دلالة العام على ما بقى بعد التخصيص قطعية بل ظنية. ويرى جمهور الأصوليين أن العام الباقى على عمومه يدل على جميع أفراده، وحكمه يثبت لجميع ما يتناوله من الأفراد، ما لم يدل دليل على تخصيصه. وأثر الاختلاف فى دلالة العام يظهر فى التعارض بين العام والخاص. فإذا تعارض مدلول العام

والخاص فيما دل عليه الخاص، فإن الحنفية يحكمون بالتعارض بينهما فى القدر الذى دل عليه الخاص لتساويهما فى القطعية. ثم يعملون بطريقتهم فى دفع التعارض، فيقررون بأن الخاص يخصص العام إن لم يتراخ عنه فى المجيئ، فإن تراخى عنه كان ناسخا له، إن علم تأخر أحدهما وتقدم الآخر. وإن لم يعلم يعمل بالراجح منهما. وأما الجمهور: فلا يحكمون بالتعارض بينهما، وإنما يعملون بالخاص فيما دل عليه، ويعملون بالعام فيما وراء ذلك؟ لأن العام عندهم ظنى الدلالة، والخاص قطعى الدلالة.(٩٦) ولا تعارض بين الظنى، والقطعى (٩٧) فالتخصيص عند الجمهور - غير الحنفية - له معنى أشمل وأعم منه عند غيرهم. وأما الحنفية فيشترطون أن يكون دليل التخصيص مستقلا ومقارنا. أما غير المستقل عن جملة العام كالشرط والاستثناء، فيسمى - عندهم - قصرا لا تخصيصا، فيكون التخصيص عندهم هو: إرادة بعض ما يتناوله العام من الأفراد بدليل مستقل مقارن للعام أى متصل به(٩٨).

١٣-عود على بدء:-

أورد ابن سلام فى طبقاته قول عمر بن الخطاب:"كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه" ثم عقب ابن سلام على ذلك بقوله:"فجاء الإسلام، فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم،ولهت عن الشعر وروايته. فلما كثر الإسلام، وجاءت الفتوح، واطمأنت العرب بالأمصار، راجعوا رواية الشعر، فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك، وذهب عليهم منه كثير"(٩٩)، وقد قسم ناصر الدين الأسد، كلام ابن سلام إلى ثلاثة أشطر وقال: كلام ابن سلام هذا ثلاثة أشطر: آخرها حق، ومتوسطها باطل، وأولها يحتاج إلى فضل بيان يوضحه(١٠٠). والذى يهمنا الآن هو الشطر الأول، وهو أن العرب قد تشاغلت عن الشعر وروايته بالإسلام، وخاصة فى الصدر الأول. وكلام ابن سلام هذا دفع بعض الكتاب إلى أن يقرر أن الإسلام أضعف الشعر، وخاصة فى صدر الإسلام(١٠١) ولكن الحقيقة أن القرآن الكريم هو الذى استقطب أنظار العرب والشعراء معا، وشغلهم عن أنفسهم وعن كل قول وفن آخر من فنون القول، باعتبار أن العرب قوم ذوولسن وذوق قولى ممتاز، فلم يلبثوا أن أخذهم القرآن بجماله، كما أخذتهم بالدهشة تلك الشريعة الكاملة، المبرأة من النقائص التى كانت تصيب الشرائع الأخرى،

فشغلوا بالقرآن. كما أنه من المحقق- كما يقول شوقى ضيف: أن الشعراء الذين نبتوا فى الجاهلية وعاشوا فى صدر الإسلام، لم يختلفوا فى صناعة شعرهم عن آبائهم الجاهلين إلا قليلا، وحتى حسان بن ثابت لا نجد فى نسيج شعره من أثر الإسلام خيوطا كثيرة (١٠٢). والذى أريد أن أؤكد عليه هنا فقط ، أن الإسلام لم يضعف الشعر بل قواه وعززه، وأن القرآن لم ينه عن الشعر بل قومه وهذبه، وأطلق له العنان فى ميادين لم تكن مطروقة من قبل. فظهر الشعر السياسى، الذى يصور نظريات الفرق الإسلامية فى الخلافة، وظهرت النقائض تحت تأثير الحياة العقلية الجديدة فى البصرة والكوفة.

وهذا تطور واضح لفنى المديح والهجاء. وفرق كبير بين الحماسة الجاهلية، التى كانت تقوم على الأخذ بالثأر. والحماسة الإسلامية، وهذه كانت تقوم على الجهاد فى سبيل الله، وإيثار ما عند الله. وتطور الغزل، فظهر الغزل العذرى العفيف؛ وذلك بما ملأ به الإسلام نفوس العرب فى بوادى نجد والحجاز من نبل وتسام وطهر(١٠٣).

وخلاصة القول أن الإسلام لم يقطع الصلة بالشعر، بل دعمها وحرض عليها وقواها، إلا أن رسول الله ﷺ الله عليه وسلم بالرغم من أنه لم ينه عنه نهيا مطلقا، ونهيه ﷺ الله عليه وسلم كان فقط عن بعض الأشعار التى قيلت فى موضوعات نهى عنها الإسلام. فمن ذلك أنه لما بلغه ﷺ الله عليه وسلم هجاء الأعشى علقمة بن علاثة العامرى، نهى أصحابه أن يرووا هجاءه، وقال: إن أبا سفيان شعث منى عند قيصر فرد عليه علقمة وكذب أبا سفيان (١٠٤). ونهى كذلك عن إنشاد قصيدة الأفوه الأودى؛ لما فيها من ذكر اسماعيل عليه السلام(١٠٥). وكذلك فإن أمية بن أبى الصلت كان يحرض قريشا بعد وقعة بدر، وكان يرثى من قتل من قريش، فنهى رسول الله ﷺ الله عليه وسلم عن رواية قصيدته (١٠٦) إلا أنه ﷺ الله عليه وسلم كان يستنشد أصحابه الشعر (١٠٧) ويسائلهم عنه، ويستعيد ما يستحسنه منه، ويبدى إعجابه ببعضه (١٠٨). بل ويعين عليه. كما حدث مع كعب بن مالك بن أبى كعب الأنصارى، وقد سمعه ﷺ ينشد:

ألا هل أتى غسان عنا ودوننا ... من الأرض خرق غوله متتعتع
مجالدنا عن جذمنا كل فخمة ... مدربة فيها القوانس تلمع.

فقال ﷺ: لا تقل عن "جذمنا" وقل: "عن ديننا" فكان كعب يقرأ كذلك ويفتخر بذلك ويقول: ما أعان رسول الله عليه ﷺ أحدا فى شعره غيرى (١٠٩).

وبالرغم من أن العرب- كما يقول الأصفهانى- كانت تقر لقريش بالتقدم فى كل شئ عليها إلا فى الشعر، فإنها كانت لا تقر لها به، حتى كان عمر بن أبى زبيعة، فأقرت لها الشعراء بالشعر أيضا. ولم تنازعها شيئا (١١٠). بل إن عبد الملك بن مروان قال: إذا أردتم الشعر الجيد فعليكم بالرزق من بنى قيس بن ثعلبة- وهم رهط أعشى بكر- وبأصحاب النخل من يثرب- الأوس والخزرج- وأصحاب الشعف من هذيل(١١١).

"والشعف: رؤوس الجبال". أقول: وبرغم ذلك إلا أننا نلاحظ مدى حرص الصحابة على طلب الشعر، لا استثنى منهم أحدا. ولولا أن هذا المبحث لا يسمح بأكثر من هذا الإجمال، لأفردت له مصنفا مستقلا برمته. وعلى كل حال فإن القوم فى القرن الأول الهجرى، لم يكونوا يكتفون برواية الشعر الجاهلى وإنشاده فى المجالس والمحافل، وإنما كانوا كذلك يعلمونه الصبيان تعليما. وقد طلب حسان أن يكتب شعر قاله فى الهجاء، وتوزع الصحف على الصبيان فى المكتب ليتعلموه ويرووه (١١٢). وكذلك كانت عائشة تقول: رووا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم". (١١٣). ونخلص من هذا كله أن الإسلام لم يقف من الشعر موقفا معاديا، ولم يعمل على إضعاف الشعر ثم القضاء عليه، وإنما عززه وقواه وجعله أداة لفهم القرآن الكريم والسنة النبوية، ثم توجيهه الوجهة التى يرضاها، حتى يرتاد ميادين أخرى تستوجبها طبيعة الدين الجديد، وكان للقرآن الكريم فيه أثر، أى أثر!! فى عذوبة ألفاظه وجمال تشبيهاته، وروعة مجازه وكناياته واستعاراته، وأتحفه بالمزيد من مفرداته ومترادفاته، مما أعانه على أن يكون شعرا حضاريا يعبر عن أرقى مجتمع إنسانى إسلامى وحضارى. وما كان له أن يتبوأ هذه المكانة المرموقة بين أشعار العالم قاطبة إلا بالإسلام، وباللغة التى ينطق بها وهى اللغة العربية لسان القرآن الكريم. فكل ما تقدم يشهد بموقف الإسلام من الشعر، وأنه قد أعلى قدره، وعدد أغراضه بما يهيئ له أن يعبر عن حضارة الإسلام فى أبهى صورها.

١٤- قوانين الشعر العربى، وهل يمكن الخروج عليها؟

سبق وأن قدمنا تعريف العلمانيين للشعر، وأنه لا يلتزم بالوزن ولا بالقافية، وجعلوا هذا خاصا بالعروضيين، بل لم يجعلوا الكلام

الموزون المقفى شعرا، بل هو نظم. وأما هم فإنهم يركزون على الخيال ومشتقاته أى على المعنى فقط. وما دام المعنى ليس هنا، فإنه يجب عليهم أن يركبوا إليه متن الخيال وأجنحة الوهم حتى يصلوا إليه هناك فى جزيرة من جزر الغرب المسيحى، حتى يقيدوا أوابده ويغوصوا على درره، فهناك مهبط وحيهم وشيطان شعرهم . وهذه الحالة ذكرتنى بما كان يقوله أبو العلاء المعرى؛ حينما كان يسأله أبو زكريا التبريزى عن شعر يقرؤه عليه، فيقول له أبو العلاء المعرى: هذا نظم جيد، فإذا مر به بيت جيد قال: يا أبا زكريا، هذا هو الشعر (١١٤). ومن الطريف أن ابن خلدون يقول: الكثير ممن لقيناه من شيوخنا فى هذه الصناعة الأدبية، يرون أن نظم المتنبى والمعرى ليس هو من الشعر فى شئ؛ لأنهما لم يجريا على أساليب العرب (١١٥). برغم أنهما يلتزمان قوانين هذه الصنعة، ويتبوءان مكانا عليا بين أضرابهما من الشعراء. ولذلك يقول الزمخشرى: فالحاصل أن الشعر العربى، من حيث هو عربى، يفتقر قائلة إلى أن يطأ أعقاب العرب فيه، فيما يصير به عربيا وهو اللفظ فقط؛ لأنهم هم المختصون به فوجب تلقيه من قبلهم (١١٦) ولقد قال ابن قتيبة بحق: الشعر معدن علم العرب، وسفر حكمتها وديوان أخبارها، ومستودع أيامها، والسور المضروب على مآثرها والخندق المحجوز على مفاخرها، والشاهد العدل يوم النفار، والحجة القاطعة عند الخصام؛ ومن لم يقم عندهم على شرفه وما يدعيه لسلفه من المناقب الكريمة والفعال الحميدة بيت منه. شذت مساعيه وإن كانت مشهورة، ودرست على مرور الأيام وإن كانت جساما. ومن قيدها بقوافى الشعر، وأوثقها بأوزانه أخلدها على الدهر"(١١٧).

وإذا كان العلمانيون يضيقون بالقيود، ولو كانت شروطا لابد من مراعاتها فى العلوم كعلم الشعر فى اشتراطه إلى جانب اللفظ والمعنى، الوزن والقافية، فإن ذلك ليس دائما عندهم، إلا فيما يخص التراث العربى والإسلامى. وأما ما وراء ذلك فإنهم مقيدون من كل وجه بما يقوله المستشرقون والغربيون، ولو كان كلاما ساقطا أو فلسفة فوضوية. على أن شعراء العربية والإسلام الأماجد كانوا أكثر ضيقا بالقافية من العلمانيين أنفسهم إذا كانت هى أساس الشعر ومبتغاه، بل إنهم جعلوا هذا الضرب من ضروب الكلام نظما لا شعرا، وإن كانت شرطا فى قرض الشعر يقول قدامه بن جعفر: وعلما الوزن والقوافى، وإن خصا بالشعر وحده فليست الضرورة داعية إليهما، لسهولة وجودهما فى طباع أكثر الناس من

غير تعلم- أى فى عصره كما هو معلوم- ومما يدل على ذلك، أن جميع الشعر الجيد المستشهد به، إنما هو لمن كان قبل وضع الكتب فى العروض والقوافى، ولو كانت الضرورة إلى ذلك داعية، لكان جميع هذا الشعر فاسدا أو أكثره" (١١٨). ويقول ابن طباطبا: الشعر كلام منظوم، بائن عن المنثور الذى يستعمله الناس فى مخاطباتهم؛ بما خص به من النظم، الذى إن عدل عن جهته، مجته الأسماع، وفسد على الذوق. ونظمه معلوم محدود، فمن صح طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض، التى هى ميزانه، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن من تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحذق به، حتى تعتبر معرفته المستفادة كالطبع الذى لا تكلف معه" ويقول عن أدوات الشعر: "وللشعر أدوات يجب إعدادها قبل مراسه وتكلف نظمه، فمن تعصت عليه أداة من أدواته لم يكمل له ما يتكلفه منه، وبان الخلل فيما ينظمه، ولحقته العيوب من كل جهة" وجعل منها: "وأن تكون قوافيه كالقوالب لمعانيه، وتكون قواعد للبناء يتركب عليها ويعلو فوقها، فيكون ما قبلها مسوقا إليها، ولا تكون مسوقة إليه؛ فتقلق فى مواضعها، ولا توافق ما يتصل بها.. فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة، مخض المعنى الذى يريد بناء الشعر عليه فى فكره نثرا، وأعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التى تطابقه، والقوافى التى توافقه، والوزن الذى يسلس له القول عليه" (١١٩).

وكذلك نرى ابن خلدون يثور على هذا الشعر النمطى، ولكنه يقول: أولا: نعم إن مراعاة قوانين هذه العلوم شرط فيه لا يتم بدونها. ثم يقول: وقول العروضيين فى حده: إنه الكلام الموزون المقفى، ليس بحد لهذا الشعر، ولا رسم له. وصناعتهم إنما تنظر فى الشعر باعتبار ما فيه من الإعراب والبلاغة والوزن والقوالب الخاصة، فنقول:

الشعر: هو الكلام البليغ المبنى على الاستعارة والأوصاف، المفصل بأجزاء متفقة فى الوزن والروى مستقل كل جزء منها فى غرضه ومقصده عما قبله وبعده، الجارى على أساليب العرب المخصوصة به. ويقول: قولنا: المفصل بأجزاء متفقة الوزن والروى. فصل له عن الكلام المنثور، الذى ليس بشعر عند الكل (١٢٠).

فعناية الشعراء والأدباء والنقاد إنما كانت تتجه إلى جزالة اللفظ واتساق النظم كما يقول أبو العباس ثعلب: فأما جزالة اللفظ: فما لم يكن بالمغرب المستغلق البدوى، ولا السفساف العامى، ولكن ما اشتد أسره، وسهل لفظه، ونأى واستصعب على غير المطبوعين مرامه، وتوهم إمكانه

(١٢١) وأما اتساق النظم: فهو ما طاب قريضة، وسلم من عيوب الشعر من السناد والإقواء والإكفاء والإجازة والإيطاء (١٢٢) وما قد سهل العلماء إجازته من قصر ممدود، ومد مقصور (١٢٣). وهو الذى عبر عنه الأصمعى أدق تعبير بقوله: الشعر: ما قل لفظه، وسهل ودق معناه ولطف، والذى إذا سمعته ظننت أنك تناله، فإذا حاولته وجدته بعيدا. وما عدا ذلك فهو كلام منظوم" (١٢٤).

١٥- مراتب الشعر العربى: وإذا كان ابن قتيبة قد قسم الشعر إلى أربعة أقسام وقال: تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب:

١- ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه ٢- وضرب منه حسن لفظه وحلا، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة فى المعنى.

٣- وضرب منه جاد معناه، وقصرت ألفاظه عنه.

٤- وضرب منه، تأخر معناه وتأخر لفظه، وجعل هذا الضرب أسوءها (١٢٥) فإننا نرى أبا العباس ثعلب، وقد جعل مراتب الشعر خمسة، وهى:

١- الأبيات المعدلة ٢- الأبيات الغر

٣- الأبيات المحجلة ٤- الأبيات الموضحة

٥- الأبيات المرجلة. ثم يقول فى تعريفها: ١- المعدل من أبيات الشعر: ما اعتدل شطراه، وتكافأت حاشيتاه، وتم بأيهما وقف عليه معناه (١٢٦).

٢- الأبيات الغر: واحدها أغر، وهو ما نجم من صدر البيت بتمام معناه دون عجزه، وكان لو طرح آخره، لأغنى أوله بوضوح دلالته (١٢٧).

٣- والأبيات المحجلة: ما نتج قافية البيت عن عروضه، وأبان عجزه بغية قائله، وكان كتحجيل الخيل، والنور يعقب الليل (١٢٨).

٤- الأبيات الموضحة: وهى ما استقلت أجزاؤها، وتعاضدت وصولها، وكثرت فقرها، واعتدلت فصولها، فهى كالخيل الموضحة، والفصوص المجزعة، والبرود المحبرة، ليس يحتاج واصفها إلى، لو كان فيها سوى ما فيها (١٢٩).

٥- الأبيات المرجلة: التى يكمل معنى كل بيت منها بتمامه، ولا ينفصل الكلام منه ببعض يحسن الوقوف عليه غير قافيته. فهو أبعدها من عمود البلاغة، وأذمها عند أهل الرواية. إذ كان فهم الابتداء مقرونا بآخره، وصدره منوطا بعجزه. فلو طرحت قافية البيت وجبت استحالته، ونسب إلى التخليط قائله (١٣٠).

ومن ثم يقول الجاحظ: أجود الشعر، ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج، كأنه سبك سبكا واحدا، وأفرغ إفراغا واحدا، فهو يجرى على اللسان كما يجرى فرس الرهان، وحتى تراها متفقة ملسا، ولينة المعاطف سهلة. فإذا رأيتها متخلعة متباينة، ومتنافرة مستكرهة، تشق على اللسان وتستكده، ورأيت غيرها سهلة لينة رطبة، متواتية، سلسة فى النظام، حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد، لم يخف على من كان من أهله" (١٣١).

إلى غير ذلك من رعاية الأدباء والشعراء لجوانب اللفظ والمعنى على العناية بالوزن والقافية فقط. ولولا أن ابن خلدون قال عن علوم اللسان العربى، وهى اللغة والنحو والبيان والأدب، وأن معرفتها ضرورية على أهل الشريعة، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهى بلغة العرب، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب، وشرح مشكلاتها من لغاتهم (١٣٢). لولا هذا ما تطرقت إلى هذا الموطن- فإن له أصحابه- ولكن حماية هذا اللسان العربى بكل فنونه وأقسامه واجب مشترك بين المشتغلين به، ويتأكد إذا تعلق بالقرآن الكريم، وإن تفاوت الاشتغال بالاختصاص؛ ولذلك إنما نقصد إلى الأصول فقط بالإشارة وندع ما وراء ذلك إلى أرباب هذه الفنون، كما سبق التنبيه عليه أكثر من مرة.

١٦- الضرورة الشعرية لموافقة الوزن والقافية، والحفاظ على سلامة اللغة:

قال سيبويه: "إعلم أنه يجوز فى الشعر ما لا يجوز فى الكلام، من صرف ما لا ينصرف، يشبهونه بما ينصرف من الأسماء؛ لأنها أسماء كما أنها أسماء" (١٣٣). وعلق أبو سعيد السيرافى على كلام سيبويه بقوله: إعلم أن سيبويه" ذكر فى هذا الباب جملة من ضرورة الشعر، ليرى بها الفرق بين الشعر والكلام، ولم يتقصه، لأنه لم يكن غرضه فى ذكر ضرورة الشاعر قصدا إليها نفسها، وإنما أراد فيما يعرض فى كلام العرب، ومذهبهم فى الكلام المنظوم والمنثور"(١٣٤) ثم يقول السيرافى عن ضرورة الشاعر: إن الشعر لما كان كلاما موزونا، تكون الزيادة فيه والنقص منه يخرجه عن صحة الوزن، حتى يحيله عن طريق الشعر المقصود مع صحة معناه، استجيز فيه لتقويم وزنه، من زيادة ونقصان وغير ذلك ما لا يستجاز فى الكلام مثله، وليس فى شئ من ذلك، رفع المنصوب ولا نصب مخفوض، ولا لفظ يكون المتكلم فيه لاحنا. ومتى

وجد هذا فى شعر كان ساقطا مطرحا، ولم يدخل فى ضرورة الشعر" ثم قال: "ضرورة الشعر على سبعة أوجه، وهى : الزيادة والنقصان، والحذف والتقديم والتأخير والإبدال، وتغيير وجه من الإعراب إلى وجه آخر على طريق التشبيه، وتأنيث المذكر، وتذكير المؤنث" (١٣٥). ويقول حازم- فى منهاج البلغاء:- "ضرورات الشعراء بالإساغة، أى أن ما يلجأ إليه الشاعر لابد أن يستساغ وتقبله الأسماع، والعرف، والذوق الشعرى، وأن يجرى مع الحسن.. والضرائر الجائزة، منها المستقبح وغيره، وهو ما تستوحش منه النفس"(١٣٦).

ثم جاء الألوسى وقال: ذهب الجمهور إلى أن الضرورة، ما وقع فى الشعر مما لا يقع فى النثر، سواء كان للشاعر عنه مندوحة- أى مخلص- أم لا. ومنهم من قال: إنها ما ليس للشاعر عنه مندوحة، وهو المأخوذ من كلام سيبويه وغيره". ثم رجح رأى الجمهور وقال: "فإنه الأنسب بمذاق العرب والتوسع عليهم بفن القريض" (١٣٨). ولكن ابن فارس ينبرى للدفاع عن العربية، ولا يعترف بالضرورة الشعرية، فهى ليست إلا مخالفة للمألوف بسبب انشغال الشاعر بالموسيقى الشعرية فى الوزن والقافية، فيقول فى كتابه "الصاحبى": ولا معنى لقول من يقول: إن للشاعر أن يأتى فى شعره بما لا يجوز.. وما جعل الله الشعراء معصومين يوقون الخطأ والغلط، فما صح من شعرهم فمقبول وما أبته العربية وأصولها فمردود" (١٣٩). ولقد ألف إبن فارس رسالة أسماها "ذم الخطأ فى الشعر" يقول فيها: ما الوجه فى إجازة ما لا يجوز إذا قاله شاعر؟ فإن قالوا: لأن الشعراء أمراء الكلام. قيل: ولم لا يكون الخطباء أمراء الكلام؟ وهبنا جعلنا الشعراء أمراء الكلام، لم أجزنا لهؤلاء الأمراء أن يخطئوا ويقولوا ما لم يقله غيرهم؟ فإن قالوا: إن الشاعر يضطر إلى ذلك؛ لأنه يريد إقامة وزن شعره، ولو أنه لم يفعل ذلك لم يستقم شعره. قيل لهم: ومن اضطره أن يقول شعرا لا يستقيم إلا بإعمال الخطأ؟. وما الذى يمنع الشاعر إذا بنى خمسين بيتا على الصواب، أن يتجنب ذلك البيت المعيب، ولا يكون فى تجنبه ذلك ما يوقع ذنبا أو يزرى بمروءة" (١٤٠).

ثم إننا لا نجد واحدا من هؤلاء الأعلام يترخص للشعراء فى أى عصر، وتحت أى مسمى فى أن يستغنوا عن الوزن أو القافية بدواعى الإحياء أو التجديد أو الدخول فى العصر الجديد عصر العولمة، كما يدعوا أصحاب المذهب الحرفى الشعر العربى؛ لأن هذا لا يكون شعرا ولا

نظما، وكذلك لا يطابق العربية إلا فى حروفه لا فى أساليبه؛ لأن أساليب الشعر تختلف عن أساليب النثر كما هو مقرر عند أعيان هذه الصنعة.

فالأوزان حتى فى الشعر الجاهلى كثيرة، بين القصير والطويل والقدر الأوسط، وفيما يضطرب بين هذه جميعا. حتى إنه لما جاء الخليل بن أحمد ووضع قواعد علم العروض، بتلك الوسيلة الرياضية التى جرى على منطقها فى وضع معجمه "العين"، فدار فى دوائره الخمس فى خطوات تحدها مقاييس "الأسباب والأوتاد" التى تؤلف العناصر الطبيعية الجوهرية لموسيقى الشعر نفسها، واستعرض جميع الاحتمالات لدورانه ذاك ، ولم يخرج من هذه العملية الرياضية الشاملة بوزن واحد إلا وقد صنع العرب فيه شعرا. بل إنه خرج منها بالأوزان الخمسة عشر ، التى ظل الشعر العربى يجرى فيها عمليا حتى عصر ابن قتيبة (١٤١) ثم أضيف بحر آخر قيل: إن أبا الحسن الأخفش هو الذى أنشأه (١٤٢). ولكن هل معنى أن تتوقف البحور الشعرية الستة عشر عند هذا الحد ألا يدل على إكتمال هذه اللغة، وبلوغها الرشاد؟ ولذلك يقول الأخفش: أما وضع العروض ، فإنهم جمعوا كل ما وصل إليهم من أبنية العرب- بحور شعرها - فعرفوا عدد حروفها، ساكنها ومتحركها ،و هذا البناء المؤلف من الكلام، هو الذى تسميه العرب شعرا، فما وافق هذا البناء الذى سمته العرب شعرا ، فى عدد حروفه ساكنه ومتحركه، فهو شعر، وما خالفه وإن أشبهه فى بعض الأشياء ، فليس إسمه شعرا، لأن الأسماء لا تقاس ، وإنما تسمى ما سمى بالإسم الذى وضعوا عليه(١٤٣).

والعروض ميزان الشعر- كما يقول التبريزى- بها يعرف صحيحه من مكسوره . وسمى هذا العلم عروضا؛ لأنه ناحية من علوم الشعر. وقيل: يحتمل أن يكون سمى عروضا، لأن الشعر معروض عليه، فما وافقه كان صحيحا، وما خالفه كان فاسدا(١٤٤). وإن كان الوزن عبارة عن ذوق طبيعى حفظ فصوله من الزيادة والنقصان ، وعد لها تعديل القسط بالميزان. على أن الشاعر ربما استغنى عن العروض، إذا صار طبعا له وملكة(١٤٥).

وقد إختلف العلماء فى القافية- وإن اتفقوا على أنها جزء من حقيقة الشعر- فعند أبى الحسن الأخفش ومن تابعة أن القافية : آخر كلمة فى البيت ؛ لأنها تقفوا البيت. وعند النضر بن شميل ومؤرج وأبى عمر الجرمى: أنها النصف الأخير من البيت . وعند الخليل بن أحمد: أن القافية من آخر البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذى قبل الساكن.

يقول المظفر العلوى: وعلى قوله الإعتماد ، فإن القول ما قالت حذام (١٤٦) فالقافية طريقة من طرق التعبير الموسيقى عند كثير من الأمم، ووجودها فى الشعر الأوربى يعتبر أثرا من آثار المدرسة العربية وقد وصل إليهم عن طريق شعراء صقلية وبروفانس وإيطاليا (١٤٧). وأختم هذا المبحث بكلمات الأستاذ العقاد: إن هدم الفن الجميل الذى إمتازت به لغة العرب بين لغات العالم، لا يصدر إلا عن عجز أو إصرار على الهدم، ولا خير في دعوة يتولاها العجز العقيم والضغينة النكراء(١٤٨).

١٧- المبحث الختامى "الإحياء والتجديد، وعلاج آلام الأمة الإسلامية"

إن سياسة الهدم التى يتبعها العلمانيون مع التراث العربى والإسلامى، ليست حلا ناجعا لإنتشال الأمة الإسلامية من وهدة التراجع الحضارى، وحالة التخلف المزرى الذى حاق بالمسلمين ، وأطبق عليهم من كل جانب. وإن هذه المحاولات التدميرية لماضى هذه الأمة وحضارتها وتراثها من جانب العلمانيين، مع ربطهم مستقبل هذه الأمة بحضارة الغرب الحديثة، وبالولايات المتحدة الأمريكية ، نظرا لما تمثله الحضارة الحديثة الآن من تقدم وإزدهار فى كل مناحى الحياة؛ ولذلك وجب علينا - فى نظر العلمانيين - أن نقفو أثرهم فى كل شئ، وأن نتمثل بهم فى حياتنا اليومية فى البيت والسوق والمدرسة والمنتدى، وفى الفكر والعلم والأدب والشعر ، واللغة، بل وفى الدين ، وفى سائر ما يتعلق بنا من فنون وآداب وملبس ومظهر، وسائر مظاهر الحياة !! وذلك إنطلاقا من مسلمات عندهم، من بينها : أن الإسلام وكتابه ولغته وتشريعاته وسائر ما يتعلق به، كان حلا لبعض المشكلات فى العصور الماضية، وقد أدى دوره كاملا فى هذه الحقبة من الزمان وفرغ منها، ولم يعد له دور يذكر فى علاج ما طرأ ، وحاق بالأمة الإسلامية من محن وآلام ونكبات وتقسيمات وضعف وتخلف، بل إن الإسلام نفسه أصبح عائقا أمام التقدم؛ لدفع هذه الأمة إلى الأمام والتغلب على مصاعبها وآلامها، وليس فيه ما يقود إلى المستقبل كما يقول الدكتور/ فؤاد زكريا : إن هو إلا شروح لآيات الماضى الذى فرغ مضمونه(١٤٩)!! .

ونقول لهذه الطوائف من العلمانيين:

أولا: لم تأتوابدع من القول فى هذا الشأن - كما هى عادتكم دائما - وقد سبقكم إلى هذا القول، أو بالأحرى هذه الفرية المستشرق الفرنسى "أرنست

رينان" وقد رد على مفترياته جمال الدين الأفغانى(١٥٠) وكذلك الإمام محمد عبده فى كتابه المشهور :"الإسلام والنصرانية مع العلوم والمدنية".

ثانيا: إن المحافظة على التراث لا ترادف الرجعية أو التخلف بحال، ولسنا بدعا فى هذا، بل هى الطبيعة الإنسانية فى التمسك بروائع الفكر، التى ضمنتها أحقاب متعاقبات طوال، كما يقول الكاتب الإنجليزى المبدع "شانكس". وقد رفض كل من "شارل داوسون" و "تيل روبس" أن يكون الحفاظ على التراث مرادفا للرجعية. أما أولهما:ففى كتابه: "التقدم والدين: تحقيق تاريخى" وأما الثانى: ففى مقدمته الرائعة لذلك الكتاب (١٥١).

وفى كل أمة ذات عراقة عصور ذهبية، وهذه العصور لا تقف بحال عائقا أمام التقدم الإنسانى، بل هى أصالة كل أمة وجذورها الحقيقية التى تمدها بكل مقومات هذه الأمة أو تلك، وترسم ملامحها، وتبرز شخصيتها، وتحدد هويتها، وتمهد لمستقبلها. فالعصر الذهبى الأول: مثلوا له بالفترة التى قضاها آدم فى الفردوس، على اعتبار أنه كا ن فى السماء – على زعمهم – ولكن المحققين من مفسرى القرآن الكريم على أنه كان فى الأرض (١٥٢)، وكذلك للرومان: ساتورن عصرهم الذهبى، ولليونان: كرونوس فترتهم الذهبية(١٥٣).

ثالثا: إن الهدم فقط عبث وإفساد، وإن البناء على غير أساس أمده قريب، ونهايته مروعة . فالعلمانيون يمقتون تراثنا، فإذا طلبت إليهم أن يكتبوا فى التاريخ، كتبوا عن الثورة الفرنسية أو الوحدة الإيطالية أو نابليون أو كراموبل، أو فى الاجتماع والسياسة، كتبوا عن مكيا فيللى ومونتسكيوا أو عن الاقتصاد، كتبوا عن أمم ومسائل غربية محضة (١٥٤). وكأن هذه الأمة ليست منهم فى شئ، ولا يقبل منهم أن يقولوا: إن هذا على سبيل التجديد. فالتجديد الحقيقى كما يقول محمد أحمد الغمراوى: لا يمكن إلا على أساس تعاون الحاضر والماضى، يبنى العقل فى حاضره ما أسس العقل فى ماضيه، فإن الحق وحدة قائمة لا يقوم جزء منها إلا على جزء، فلن يقوم حق جديد إلا على أساس من حق قديم.. إلى أن يقول: فإن الذى يمحق الأعمار، أعمار الأفراد والشعوب هو التذبذب بين غايتين، قرب المدى بينهما أم بعد. فلو ظل" البندول"(١٥٥) يضرب إلى سرمد الدهر ما قطع أكثر من تلك القوس المحدودة. ولو ظل الإنسان تتعارض جهوده وتتلاغى أعماله، ينقض اليوم من غير دليل ما أبرم بالأمس، ويبرم غدا من غير دليل ما نقض اليوم. وليس أعدى للفرد ولا للمجموع من قوم يزينون له هذا التذبذب باسم التقدم، وهذا التعطيل باسم التجديد".(١٥٦)

وإذا كان هذا هو اللائق بحياة العلوم، فإن حياة الأمم العظيمة أليق به، يقول الدكتور مسعود ضاهر: لقد أسهمت مرحلة توكوغاوا فى بناء القاعدة المادية التى إنطلقت منها النهضة اليابانية الأولى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر. فقد بنيت إصلاحات الإمبراطور مايجى (meiji) على ركائز داخلية متينة، نتجت عن تراكم الإيجابيات الكثيرة، التى تجمعت إبان مرحلة العزلة الطوعية. وعندما توفرت لها القيادة السياسية المتنورة، والإنتلجنتسيا الواعية التى تثقفت بثقافة عصرية معمقة، دون القطع مع ثقافتها اليابانية الأصيلة أو التنكر لها، والإلتفاف الشعبى العارم. إستطاعت اليابان بناء نهضة متميزة فى التحديث غير قابلة للإرتداد، وهى التجربة الأولى خارج تجارب التحديث الغربية، فتحاشت مخاطر السقوط فى دائرة التغريب" (١٥٧).

رابعا: أنا لا أوافق مالك بن نبى حين يقول: وسنظل نكرر ونلح فى تكرارنا ، أن أزمة العالم الإسلامى منذ زمن طويل، لم تكن أزمة فى الوسائل،وإنما فى الأفكار، وما لم يدرك هذا العالم تلك الحقيقة إدراكا واضحا فسيظل داء الشيبة العربية الإسلامية عضالا، بسبب تخلفها عن ركب العالم المتقدم (١٥٨)" فالأفكار لا تستورد من الغرب بلا تعب ولا معاناة. نعم عندنا فى شريعتنا وكتابنا ما بلغنا ويبلغنا قنن المجدوذرا الحضارة والتقدم، ولكن القرائح كلت عن العمل، وتقاعست عن مواصلة الجهود، وخمدت الدماء الحارة التى كانت قد اعتادت على رفع راية التمدن، وفترت همم المسلمين وهزلت، بل دب فى مفاصلها سوس العطب حتى اصبحت بلا حول ولا قوة، ومع ذلك عندها من منهج الله تعالى ما هو جدير بأن يحول ضعفها قوة، وتشتتها وحدة، وتخلفها تقدما ونجاحا لا يعلوه نجاح. ولابأس أن نأخذ عن الحضارة الحديثة أجود ما فيها، على شريطة أن تبقى لنا هويتنا كاملة، وأن نساهم فى هذه الحضارة – وكنا بالأمس أساسها وأصحابها – ولن يتحقق هذا إلا إذا نظرنا فى الأسباب والوسائل التى توصل بها أولئك – الأمم المتقدمة– إلى هذه الحال التى هم عليها، ولا نظن أن هذه الغاية التى وصلوا إليها من الممكن أن تكون بداية لنا، كما يقول الإمام محمد عبده : فإنهم لم يصلوا إليها إلا بعد معاناة وأتعاب، ومقاساة مشاق، وسفك دماء شريفة، وثل عروش ملك رفيعة، وكانوا فى كل ذلك يقربون من المقصود تارة، ويبعدون عنه أخرى، حتى بدلت الحوادث الدهرية طبائع الأهالى، وغيرت أخلاقهم ونبهت الضرورات أفكارهم، وهذبت المخالطات الجهادية والتجارية عقولهم. ولم

يكن ذلك كله إلا من حرص الأهالى أنفسهم على الخروج من الآلام التى كانوا يشعرون بها فى كل لحظة من حياتهم" (١٥٩) ولذلك لا يجدى نقل هذه العلوم الغربية دون معالجة منا ومقاساة فى تحصيل أسبابها يقول الشيخ محمد عبده أيضا: واعجبا كيف يكون هذا، وإن الأمة فى بعد عن معرفة تلك العلوم الغربية أيضا عنها؟! وكيف بذرت بذورها؟ وكيف نبتت واستوت على سوقها وأينعت وأثمرت؟ وبأى ماء سقيت وبأى تربة غذيت؟ ولا وقوف لها على الغاية التى قصدت منها فى مناشئها، ولا خبرة لها بما يترتب عليها من الثمرات، وإن وصل إليها طرف من ذلك، فإنما يكون ظاهرا من القول، لانبأ عن الحقيقة"(١٦٠). ثم ينتهى الشيخ محمد عبده إلى هذه النتيجة الحقيقية التى تطابق واقعنا الحالى، وكأنه يشاهد معنا ما وصل إليه حال العلمانيين من تحريب على الإسلام يقول: علمتنا التجارب، ونطقت مواضى الحوادث بأن المقلدين من كل أمة المنتحلين أطوار غيرها، يكونون فيها منافذ وكوى لتطرق الأعداء إليها، وتكون مداركهم مهابط الوساوس ومخازن الدسائس، بل يكونون شؤما على أبناء أمتهم، يذلونهم ويحقرون أمرهم، ويستهينون بجميع أعمالهم وإن جلت. ويصير أولئك المقلدون طلائع لجيوش الغالبين وأرباب الغارات، يمهدون لهم السبيل، ويفتحون الأبواب، ثم يثبتون أقدامهم ويمكنون سلطتهم؛ ذلك بأنهم لا يعلمون فضلا لغيرهم ولا يظنون أن قوة تغالب قواهم"(١٦١) وأنا أتساءل : أى فرق بين ما ينادى به العلمانيون عندنا، وبين أعلنه "كولن باول" وزير خارجية الولايات المتحدة الأميريكية فى مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط؟ يقول عن الركيزة الثالثة فيها: وسنعمل مع المربين لسد فجوة المعرفة بمدارس أفضل، ومزيد من الفرص للتعليم العالى"(١٦٢) وأقول : بل هم طلائع لهؤلاء الغزاة !!

رابعا: إننا أمة حضارة، وقد كسبت هذه الحضارة أنصارا لها من غير أبنائها من مختلف الديانات والملل والنحل؛ لأنها حضارة قامت على قيم ثابتة أرساها الإسلام ؛ تدعو إلى التعايش مع الآخر فى سلام ووئام. وقد نظمت العلاقات بين أفرادها وهذه الطوائف بما يكفل المواطنة الحقيقية والآمنة لهذه الطوائف، وكذلك الأمم الأخرى. وأما حضارة اليوم القائمة على العلم أيضا، فيقول عنها جورج جسنج: "إننى أمقت العلم واخشاه، إستنادا إلى إقتناعى بأنه سيكون عدوا فاقد الضمير، وذلك لمدة طويلة جدا، إن لم يكن إلى الأبد، إنى لأراه وقد أتى على كل ما فى الحياة من

بساطة ووداعة، وكل ما فى العالم من جمال، وأعاد الهمجية تحت قناع المدنية، ونشر الظلام فى عقول البشر، وقسى قلوبهم، وبعثر جميع الجهود، التى بذلها البشر فى بحر دموى من الفوضى" (١٦٣).

خامسا: ومما تقدم يتسنى لنا أن نعض بالنواجذ على لغتنا، فإن فى كل حرف من حروف هذه اللغة، وفى كل لفظ من ألفاظها معينا من الذكريات، لقد امتلأت بتاريخنا، واستوعبت تراثنا، وارتسمت بألفاظها حضارتنا. إن اللفظ من لغتنا ليس مجرد نبرة من صوت، وإنما هو قطعة من فكر الأمة. وليست تخدعنا تعريفات اللغويين المنقولة عن بعض مدارس الغرب فى قولهم: إن اللغة أداة يعبر بها كل قوم عن أغراضهم(١٦٤) ولمسألة اللغة أصلان: الإستعمار والجهل. أما الاستعمار فلأنه رأى أن الرابطة بين المسلمين على اختلاف الأقطار، وتباعد الديار، هى الدين واللغة. وما دام المسلمون روحا واحدا بالإسلام ولسانا واحدا بالعربية، فلا بد من القضاء على ذلك؛ ولذلك سعت فرنسا سعيها الدائب فى الجزائر، لفتنة البربر عن دينهم، وقطع العرب عن لغتهم بطردها من المدارس والدواوين، ولكن دين الله كان أقوى من ظهير فرنسا. ولغة المصحف كانت أبقى من لغة السيف. وأما إنجلترا على عادتها فى الدهاء فقد حاربت الفصحى بالعامية؛ لأن اللغات العامية تختلف فى البلاد العربية اختلافا شديدا يكاد يجعل كل لهجة منها لغة مستقلة(١٦٥). وقد ناب عنهم العلمانيون فى تنفيذ هذا المخطط. وهذا ما حاربه القرآن الكريم. فقد قام القرآن الكريم بتشبيت وحدة اللغة العربية، فقد كان فى جزيرة العرب قبائل ولهجات، وكان بين تلك اللهجات وجوه من التباين والاختلاف، فاختلاف بين حركة وحركة" نستعين ونستعين"، واختلاف بين حركة وسكون" معكم، ومعكم" واختلاف فى إبدال حرف من حرف "أولئك و أولالك، وأن زيدا وعن زيدا"، واختلاف فى تقديم حرف وتأخيره "صاعقة وصاقعة"، واختلاف فى إثبات حرف وحذفه " إستحييت، وإستحيت" واختلاف بين تفخيم حرف وإمالته نحو "قضى"، واختلاف فى إدغام حرف بحرف وترك إدغامه "يعض ويعضض"، واختلاف فى الإعراب "ما زيد قائما، وما زيد قائم"، واختلاف فى صورة الجمع "أسرى وأسارى" واختلاف فى الزيادة وعدمها "أنظور وأنظر"، واختلاف فى الوقف على هاء التأنيث "هذه أمه، وهذه أمت"(١٦٦) وغير ذلك.

وكذلك جهل أبناء العربية بها،وعزوفهم عن علومها وأدبها(١٦٧) وقد كان للدكتور عبد الله العنان تجربة رائدة فى تعلم إبنه "باسل" الفصحى فى سن مبكرة جدا، ثلاث سنوات وأربعة أشهر.(١٦٨) فينبغى أن تدرس. سادسا: وأما التجديدفى ميدان الأدب الذى ينادى به العلمانيون، فهو الذى يخدم المخطط السابق فى اعتماده على العامية، والأدب الشعبى، باعتبار أن المصريين - وليس العرب أو المسلمون - يؤلفون فى مجموعهم وحدة جماعية كبرى، وثقافة عامة موحدة، ذات تقاليد عامة أساسية متعلقة بالزواج والأفراح والمآتم، والمجاملات وطرق التحية، واللهو السمر والفن، والرقص البلدى!!.. (١٦٩) الخ". وكذلك أدب اللذة وأدب المجون، فأدب اللذة هو: غرائب الاخبار وطرائف النوادر، وتوافه المعارف، وهو أدب لاقيمة له، وقد طغى فى أوربا بعد الحرب؛ لأن الأعصاب قد أوهنتها الحروب بفظائعها فلم تعد قادرة على معاناة الجد. وقد أنكره أقطاب الكتاب هناك. وأما أدب المجون - الرائج عندنا والمأخوذ عن الغرب- فأقل دواهيه : أن تزول الحدود بين المعروف والمنكر، فلا يكون فارق بين حلال وحرام، ولا بين نظام وفوضى،ولا بين إنسان وحيوان(١٧٠). ولكن أين أدبنا العربى والإسلامى من كل ذلك؟! فهو الأنسب بهذه الأمة، يغذى وجدانها، ويهذب طباعها، ويقوم سلوكها، ويبعث الأمل فى نفوس أبنائها، فكل يتداوى بعشب بلاده!! وتعلو به قيمة العربى والمسلم؛ لإنه يستمد وجوده من أصول إسلامية وعربية .

سابعا: وأخيرا لا نحب أن نتوقف عند الشعر، فقد أطلنا ذيول الحديث فيه بما يقنع، ولكن نود أن نطمئن العلمانيين، على أن ديننا يدعو إلى التقدم، يقول تعالى: "لمن شاءمنكم أن يتقدم أو يتأخر"(١٧١) ويدعو إلى التجديد والإحياء، فالتجديد الذى هو تطور، ليس إعادة قديم كان كما يقول أمين الخولى: وإنما هو إهتداء إلى جديد بعد أن لم يكن، سواء أكان الإهتداء إلى هذا الجديد بطريق الأخذ من قديم كان موجودا، أم بطريق الاجتهاد فى استخراج هذا الجديد بعد أن لم يكن (١٧٢). وعلى كل حال فليست العلمانية ضمانا للحرية أو حماية للحقوق، كما تشهد بذلك النظم الشمولية شديدة العلمانية فى القرن العشرين(١٧٣).

هوامش الفصل الرابع

١- انظر: قراءات فى النقد الأدبى تأليف الدكتور جابر عصفور (مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٠) ص ٣٧ وما بعدها وقارن بكتاب: الثورة والأدب تأليف لويسى عوض (دار الكتاب العربى سنة ١٩٦٧) ص ٥- ٣٦.

٢- جريدة الأهرام المصرية بعددها الصادر بتاريخ ٨/ ١٠/ ٢٠٠٣ تحت عنوان: الأسباب مفهومة!

٣- التوجيه الأدبى للدكتور طه حسين مع آخرين ص ١٤٦ ، ١٤٧.

٤- انظر: الفن ومذاهبه فى الشعر العربى تأليف الدكتور شوقى ضيف (دار المعارف - القاهر - ط عاشرة سنة ١٩٧٨) ص ٥١٤- ٥١٧.

٥- المصدر السابق

٦- انظر: الفنون والإنسان - مقدمة موجزة لعلم الجمال. تأليف: أورين أدمان ترجمة مصطفى حبيب تقديم الدكتور/ ماهر شفيق فريد (الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠١) ص ٧٢.

٧- انظر: فى أصول الأدب - محاضرات ومقالات فى الأدب العربى تأليف: أحمد حسن الزيات (شركة الخزندار - المملكة العربية السعودية - بدون) ص ١٥ - ١٧.

٨- انظر: الموسيقى والحضارة تأليف: هو جولا يخنتريت ترجمة الدكتور أحمد حمدى محمود مراجعة الدكتور/ حسين فوزى (مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٣ القاهرة) ج١/ ٧٨، ٧٩

٩- انظر: اللغة الشاعرة للعقاد ص ١٥٣

١٠- المصدر السابق ص ١٥٥ وما بعدها

١١- انظر: التوجيه الأدبى للدكتور طه حسين وآخرين ص ١٤٣- ١٤٦، وانظر: تاريخ الشعر العربى حتى آخر القرن الثالث الهجرى تأليف: نجيب محمد البهبيتى (دار الفكر - ط رابعة سنة ١٩٧٠) ص ٨٦ وما بعدها

١٢- اللغة الشاعرة للعقاد ص ١٦٧

١٣- السبب، سببان خفيف وثقيل، فالخفيف: حرفان : أولهما متحرك والثانى ساكن. والثقيل: حرفان متحركان. والوتد، مجموع ومفروق، فالمجموع، ثلاثة أحرف، الأول والثانى متحركان، والثالث ساكن. والمفروق، ثلاثة أحرف: الأول والثالث متحركان

وبينهما ساكن. والفاصلة: صغرى وكبرى، فالصغرى، أربعة أحرف، ثلاثة منها متحركة والرابع ساكن. والكبرى، خمسة أحرف، أربعة منها متحركة والخامس ساكنة. أ.هـ انظر: مفتاح العلوم للخوارزمى محمد بن أحمد بن يوسف تحقيق/ إبراهيم الإبيارى (دار الكتاب العربى - بيروت - ط أولى سنة ١٤٠٤ - ١٩٨٤) ص ١٠٣.

١٤- اللغة الشاعرة للعقاد ص ١٦٧، ١٦٨

١٥- انظر: من حديث الشعر والنثر تأليف الدكتور/ طه حسين (دار المعارف بمصر - ط عاشرة - بدون) ص ٨ - ١٠.

١٦- انظر: التوجيه الأدبى تأليف: الدكتور طه حسين، أحمد أمين، الدكتور/ عبد الوهاب عزام، الدكتور/ محمد عوض محمد ص ١٤٣، وانظر: النقد الأدبى تأليف: أحمد أمين (دار الكتاب العربى - بيروت - ط رابعة سنة ١٣٨٧ - ١٩٦٧) ج ١/ ص ٧٩-٨١. يقول فيه أحمد أمين: فالشرطان اللذان يجب توافرهما فى الشعر: الوزن والقافية، فإذا وجد الشرط الأول دون الثانى فنظم لاشعر، وإذا وجد الثانى دون الأول فنثر شعرى. أ.هـ نفس المصدر. ج١/ ٨٠.

١٧- التوجيه الأدبى للدكتور/ طه حسين وآخرين ص ١٤٧

١٨- انظر: أصول النقد الأدبى - تأليف : أحمد الشايب ص ١٧٨، ١٧٩

١٩- انظر: الموازنة بين أبى تمام والبحترى تأليف أبى القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى البصرى تحقيق وتعليق: محمد محيى الدين عبد الحميد (القاهرة - سنة ١٣٦٣ - ١٩٤٤) ص ٣٧٣ - ٣٨٣

٢٠- انظر: الوساطة بين المتنبى وخصومه للقاضى على بن عبد العزيز الجرجانى بتحقيق هاشم الشاذلى (درا إحياء الكتب العربية - القاهرة - بدون) ص ١٣.

٢١- نفس المصدر السابق ص ٣٦٨، ٣٦٩.

٢٢- نفس المصدر السابق ص ٣٧٠

٢٣- فى أصول الأدب تأليف: أحمد حسن الزيات ص ١٥

٢٤- انظر: أدب الكاتب لإبن قتية (دار صادر - بيروت سنة ١٣٨٧-١٩٦٧) ص ٢١

٢٥- انظر: فقه اللغة وخصائص العربية تأليف: محمد المبارك ص ٣٠٢- ٣٠٦.

٢٦- اللغة الشاعرة للعقاد ص ١٥٦، ١٥٧.

٢٧- نفس المصدر السابق ص ١٥٧، ١٥٨، وانظر: الكتاب المقدس (دار الكتاب المقدس بالشرق الأوسط - بدون) سفر الخروج، الإصحاح الخامس عشر ص ١١٢.

٢٨- اللغة اشاعرة للعقاد ص ١٥٨، الموسيقى والحضارة تأليف: هوجولا يختتريت ترجمة الدكتور/ أحمد حمدى محمود مراجعة الدكتور/ حسين فوزى ص ٧٨ وما بعدها

٢٩- أنظر: ضرورة الفن تأليف: أرنست فيشر ترجمة أسعد حليم (الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة سنة ١٩٩٨) ص ٢٣.

٣٠- أنظر: مشكلة الثقافة تأليف: مالك بن نبى ترجمة: عبد الصبور شاهين (دار الفكر - دمشق سنة ١٤١٠- ١٩٨٩) ص ١١٨، ١١٩.

٣١- راجع: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء للراغب الأصبهانى هذبه واختصره: إبراهيم زيدان (دار الجبل بيروت - ط ثانية (سنة ١٤٠٦، ١٩٨٦) ص ٤٥.

٣٢- نفس المصدر السابق ص٤١.

٣٣- سبق أن ذكرنا جانبا من تأثره بالإسلام ورسوله وكتابه، وكذلك بالتراث الأدبى العربى والإسلامى.

٣٤- أنظر: شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية فى أوروبة" تأليف: المستشرقة الألمانية: زيغريد هونكه. نقله عن الألمانية: فاروق بيضون وكمال دسوقى راجعه ووضع حواشيه: مارون عيسى الخورى (دار الجيل - بيروت - ط ثامنة سنة ١٤١٣- ١٩٩٣) ص ٥٠٧- ٥١٠.

٣٥- أنظر: العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده لإبن رشيق ابى على الحسن بن رشيق القيروانى الأزدى تحقيق وتعليق محمد محيى الدين عبد الحميد (دار الجيل - بيروت -سنة ١٣٥٣- ١٩٣٤) ج ١١٩، ١٢٠.

٣٦- انظر: تاريخ الأدب العربى تأليف: أحمد حسن الزيات (القاهرة - ط ٢٤٠) ص٢٨.

٣٧- أقصد فى اعتماده على عناصره الأربعة فقط المشار إليها.

٣٨- أنظر: الممتع فى صنعة الشعر تأليف: عبد الكريم النهشلى القيروانى تحقيق الدكتور/ محمد زغلول سلام (منشاة المعارف بالإسكندرية سنة ١٩٨٠) ص ١٩ : ٢٣.

٣٩- شمس العرب تسطع على الغرب تأليف: هونكه ص ٥٠٣.

٤٠- أنظر: الشعر والشعراء تأليف أبى محمد عبد الله بن مسلم إبن قتيبة (دار إحياء العلوم - بيروت - ط رابعة سنة ١٤١٢- ١٩٩١) ص ٢٢.

٤١- أنظر : المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير (مكتبة محمود توفيق - القاهرة ١٩٣٥) ج ١/ ٢٨٧.

٤٢- ضرائر الشعر كتاب ما يجوز للشاعر فى الضرورة لأبى عبد الله القزاز القيروانى تحقيق وشرح ودراسة الدكتور/ محمد زغلول سلام والدكتور/ محمد مصطفى هدارة ص ١٥.

٤٣- الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢١.

٤٤- سبق أن ذكرت جانبا عن زمن الاستشهاد بالشعر، وأقول: قسم العلماء الشعراء إلى أربع طبقات: الطبقة الأولى: الشعراء الجاهليون، وهم قبل الإسلام، كامرئ القيس. الثانية: المخضرمون، كلبيد وحسان الثالثة: المتقدمون، ويقال لهم: الإسلاميون، وهم الذين كانوا فى صدر الإسلام كجرير والفرزدق. والرابعة: المولدون، ويقال لهم : المحدثون كبشار بن برد وأبى نواس. فالطبقتان الأوليان يستشهد بشعرهما إجماعا. وأما الثالثة فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامها. وأما الرابعة: فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقا، وقيل: يستشهد بكلام من يوثق به منهم. واختاره الزمخشرى. أ.هـ انظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب تأليف عبد القادر بن البغدادى تحقيق وشرح عبد السلام هارون (الخانجى للطبع والنشر - القاهرة - ط ثالثة سنة ١٤٠٩- ١٩٨٩) ج ١/ ٥، ٦.

٤٥- انظر: الفاضل لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد تحقيق/ عبد العزيز الميمنى (الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٥) ص ١٠.

٤٦- النحل آية : ٤٧

٤٧- انظر: كتاب الأمالى تأليف أبى على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى (دار الكتب العلمية - بيروت - بدون) ج ٢/ ١٢٢.

٤٨- الثياب الممصرة: التى فيها شئ من صفرة.

٤٩- يخصر: يبرد.

٥٠- الأغانى لأبى الفرج الأسبهانى ج١/ ٨١، ٨٢.

٥١- أنظر: غريب القرآن فى شعر العرب "سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس تحقيق: محمد عبد الرحيم وأحمد نصر الله (مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - ط أولى سنة ١٤١٣- ١٩٩٣) ص ٢٥- ٢٧.

٥٢- أنظر: المغنى تأليف: موفق الدين بن قدامة الحنبلى (دار الكتاب العربى بيروت سنة ١٤٠٣هـ) ج ١٢/ ٤٤.

٥٣- أنظر: كف الرعاع تأليف: أحمد بن محمد بن على بن حجر الهيثمى تحقيق: محمد عبد القادر عطا (دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٦) ص ٥٤.

٥٤- الشعراء الآيات : ٢٢٤ - ٢٢٧.

٥٥- المغنى لابن قدامة ج ١٢/ ٤٤، ٤٥

٥٦- صحيح البخارى أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى بشرح وترقيم الدكتور مصطفى ديب البغا (دار ابن كثير - دمشق - ط رابعة ١٤١٠) ج ٥/ ٢٢٧٦.

٥٧- صحيح مسلم أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقى (دار الحديث - القاهرة - ط أولى سنة ١٤١٢هـ) ج ٤/ ١٩٣٥.

٥٨- رواه البخارى ج ١/ ٣٨٨.

٥٩- أنظر: الروض الأنف تأليف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمى المعروف بالسهيلى بتحقيق/ عبد الرحمن الوكيل (دار الكتاب العربى - بيروت س ١٤٠٠) ج ٢٥٨/٧ وما بعدها.

٦٠- أنظر: حلية الأولياء لأبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهانى (دار الكتاب العربى - بيروت - سنة ١٤٠٠هـ) ج ٢/ ٤٦).

٦١- أخرجه الحاكم فى المستدرك لأبى عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه النيسابورى المعروف بالحاكم (دار الكتاب العربى - بيروت - بدون) ج٣/ ٣٢٧.

٦٢- كف الرعاع ص ٥٥.

٦٣- رواه مسلم ٤/ ١٩٣٢.

٦٤- عمدة القارئ لبدر الدين أبى محمد محمود بن أحمد العينى (مصطفى البابى الحلبى بمصر- ط أولى سنة ١٣٩٢) ج٤/ ٢١٦.
٦٥- رواه البخارى ٥/ ٢٢٧٩، ومسلم ٤/١٧٦٩.
٦٦- المغنى لابن قدامة ١٢/ ٤٥.
٦٧- فتح البارى بشرح صحيح البخارى تأليف: على بن أحمد بن حجر العسقلانى بتحقيق: محيى الدين الخطيب وبترقيم: محمد فؤاد عبد الباقى (دار الريان - القاهرة - ط أولى سنة ١٤٠٧هـ) ج١٠/ ٥٦٥.
٦٨- أنظر: مغنى المحتاج لمحمد بن أحمد الشربينى الخطيب (دار إحياء التراث العربى - بيروت - بدون) ج ٤/ ٤٣٠.
٦٩- أنظر: عمدة الحفاظ فى تفسر أشرف الألفاظ تأليف أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود الحلبى المعروف بالسمية بتحقيق: محمود محمد السيد الدغيم (دار السيد للنشر - ط أولى سنة ١٤٠٧- ١٩٨٧) ص ٢٦٩، ٢٧٠.
٧٠- أنظر: المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى شرح وتعليق: محمد جاد المولى وآخرين (المكتبة المصرية - بيروت ١٤٠٨ - ١٩٨٧) ج ٢/ ٣٠٩.
٧١- الأدب المفرد للإمام البخارى (مكتبة الآداب - القاهرة - سنة ١٤٠٠- ١٩٧٩) ص ٢٥٤.
٧٢- الأدب المفرد للبخارى ص ٢٥٥.
٧٣- أنظر: تفسير التحرير والتنوير تأليف: محمد الطاهر بن عاشرو (الدار التونسية - بدون) ج ١٩/ ٢٠٧، ٢٠٨.
٧٤- أنظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل تأليف: أبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى (مطبعة: مصطفى البابى الحلبى سنة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢)ج ٣/ ١٣٣.
٧٥- أنظر: جامع البيان فى تفسير القرآن تأليف: أبى جعفر محمد بن جيرير الطبرى (دار الريان للتراث - القاهرة سنة ١٤٠٧ - ١٩٨٧) ج ١٩/ ٧٨.
٧٦- أنظر: روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للعلامة محمود الألوسى البغدادى (دار الفكر -بيروت - بدون) ج١٩/ ١٤٦.

٧٧- تفسير أبى السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (دار الفكر - بيروت - بدون) ج ٤/ ١٨٤.
٧٨- تفسير الزمخشرى ج ٣/ ١٣٣.
٧٩- أنظر: معانى القرآن وإعرابه للزجاج أبى إسحاق إبراهيم بن السرى شرح وتحقيق الدكتور: عبد الجليل شلبى (عالم الكتب - بيروت - ط أولى سنة ١٤٠٨ - ١٩٨٨) ج ٤/ ١٠٤.
٨٠- أنظر: حاشية الشهاب المسماة: عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى (دار صادر - بيروت - بدون)ج٧/ ٣٠.
٨١- تفسير القرآن العظيم للإمام عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى (طبع عيسى البابى الحلبى بالقاهرة- بدون) ج ٣/ ٣٥٣.
٨٢- أنظر: تفسير الفخر الرازى للإمام محمد الرازى فخر الدين (دار الفكر بيروت - ط ثالثة سنة ١٤٠٥- ١٩٨٥) ج ٢٤/ ١٧٦.
٨٣- تفسير الزمخشرى ج ٣/ ١٣٣
٨٤- أنظر: التفسر الكبير المسمى البحر المحيط تأليف: أثير الدين أبى عبد الله محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الأندلسى الغرناطى الشهير بأبى حيان (دار إحياء التراث العربى - بيروت - ط ثانية سنة ١٤١١- ١٩٩٠) ج٧/ ٤٩.
٨٥- راجع: نظم الدر فى تناسب الآيات والسور تأليف: برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى (دار الكتاب الإسلامى بالقاهرة - طبعة ثانية سنة ١٤٣١- ١٩٩٢) ج ١٤، ١١٥.
٨٦- تفسير ابن كثير ج ٣/ ٣٥٤.
٨٧- أنظر: أحكام القرآن لأبى بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربى تحقيق: على محمد البجاوى (عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر - ط ثانية سنة ١٣٨٧- ١٩٦٨) ج٣/ ١٤٢٧.
٨٨- أنظر: أحكام القرآن للإمام عماد الدين بن أحمد الطبرى المعروف بالكياالهراسى (دار الكتب العلمية - بيروت - ط ثانية سنة ١٤٠٥- ١٩٨٥) ج ٤/ ٣٣٣.
٨٩- أنظر: الجامع لأحكام القرآن للإمام أبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى (دار الكتب العلمية - بيروت - ط أولى سنة ١٤٠٨- ١٩٨٨) ج ١٢/ ١٧٩، ج ١٣/ ٩٧- ١٠٣.

٩٠- أنظر: دلائل الإعجاز فى علم المعانى تأليف الإمام عبد القاهر الجرجانى تصحيح الإمام محمد عبده والشيخ محمد محمود التركزى الشنقيطى (دار المعرفة - بيروت سنة ١٤٠٢- ١٩٨٢) ص ٩ - ٢٣.

٩١- أنظر: الإتقان فى علوم القرآن تأليف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطى (دار ومكتبة الهلال - بيروت - بدون) ج٢/ ١٦، ١٧.

٩٢- الموافقات فى أصول الأحكام تأليف أبى إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمى الغرناطى الشهير بالشاطبى علق عليه الشيخ محمد حسنين مخلوف (دار الفكر - بيروت- بدون) ج ٣/ ١٦٢.

٩٣- أنظر: روضة الناظر وجنة المناظر تأليف موفق الدين عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسى (دار الكتاب العربى - بيروت - ط ثانية سنة ١٤٠٧- ١٩٨٧) ص ٢٠٨، ٢٠٩.

٩٤- أنظر: المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل تأليف عبد القادر بن أحمد بن مصطفى المعروف بابن بدران ضبط وتصحيح وتخريج محمد أمين ضناوى (دار الكتب العلمية -بيروت - ط أولى ١٤١٧- ١٩٩٦) ص ١٢٥.

٩٥- أنظر: كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوى تأليف: الإمام علاء الدين عبد العزيز أحمد البخارى ضبط وتعليق وتخريج محمد المقصم بالله البغدادى (الناشر: دار الكتاب العربى - بيروت - ط ثانية ١٤١٤- ١٩٩٤) ج ١/ ٥٨٧- ٦٠٨، وشرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح فى أصول الفقه (دار الكتب العلمية - بيروت - بدون) ج ١/ ٣٤ وما بعدها، وأصول السرخسى للإمام أبى بكر محمد بن أحمد أبى سهل السرخسى تحقيق أبو الوفا الأفغانى (دار المعرفة - بيروت - بدون) ج١/ ١٣٢ وما بعدها، وحاشية العلامة البنانى على شرح الجلال المحلى على متن جمع الجوامع للسبكى (مصطفى البابى الحلبى - بمصر سنة ١٣٥٦- ١٩٣٧) ج ١/ ٣٩٨ وما بعدها والإحكام فى الأصول الأحكام تأليف: سيف الدين أبى الحسن على الآمدى (دار الكتب العلمية - بيروت - ط أولى سنة ١٤٠٥- ١٩٨٥) ج ٢/ ٤٣٩، فواتح الرحموت للعلامة عبد العلى محمد بن نظام الدين الأنصارى بشرح مسلم الثبوت فى أصول الفقه

للشيخ محب الله بن عبد الشكور- بهامش المستصفى للغزالى (طبعة دار الفكر - بيروت - بدون) ج١/ ٢٠٠ وغير ذلك.

٩٦- أنظر: أصول الشاشى لأبى على الشاشى (دار الكتاب العربى - بيروت سنة ١٤٠٢- ١٩٨٢) ص ١٧ وما بعدها.

٩٧- أنظر: أصول الفقه الإسلامى تأليف الدكتور وهبة الزحيلى (دار الفكر - دمشق - ط أولى سنة ١٤٠٦- ١٩٨٦) ج ١/ ٢٥١- ٢٥٣.

٩٨- المصدر السابق ج ١/ ٢٦٣.

٩٩. انظر " طبقات فحول الشعراء تأليف : محمد بن سلام الجمحى بتحقيق محمود محمد شاكر (دار المعارف - القاهرة - بدون) ص٢٢، .

١٠٠. مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية تأليف الدكتور/ ناصر الدين الأسد (دار المعارف - بمصر سنة ١٩٨٨) ص ١٩٥، ١٩٦.

١٠١. انظر : تاريخ الشعر العربى تأليف : نجيب محمد البهبيتى ، ص ١١٣.

١٠٢. الفن ومذاهبه فى الشعر العربى تأليف الدكتور / شوقى ضيف، ص ٣٢ - ٣٧.

١٠٣. نفس المصدر السابق.

١٠٤. مصادر الشعر الجاهلى لناصر الدين الأسد ، ص ٢١٤.

١٠٥. نفس المصدر السابق .

١٠٦. المصدر السابق ، ص ٢١٣.

١٠٧. سبق بيان هذا وتخريجه .

١٠٨. انظر : البيان والتبيين للجاحظ ج ٤ / ٤٣ ، ٤٤

١٠٩. مصادر الشعر الجاهلى لناصر الدين الأسد ، ص ٢١٤ .

١١٠. الأغانى للأصبهانى ج١/ ٨٣.

١١١. مصادر الشعر الجاهلى ، ص ١٩٩ .

١١٢. نفس المصدر السابق.

١١٣. نفس المصدر السابق.

١١٤. أنظر : نضرة الأغريض فى نصرة القريض تأليف : المظفر بن الفضل العلوى تحقيق الدكتورة/ نهى عارف الحسن(جار صادر بيروت - ط ثانية، سنة ١٤١٦ - ١٩٩٦) ، ص ١١، ١٢.

١١٥. أنظر : مقدمة العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون بتحقيق الدكتور/ على عبد الواحد وافى (نهضة مصر - ط ثالثة - بدون) ج ٣/ ١٣٠٦.
١١٦. أنظر : القسطاس فى علم العروض تاليف جار الله محمود الزمخشرى ، تحقيق الدكتور/ فخر الدين قباوة (مكتبة المعارف بيروت- ط ثانية سنة ١٤١٠ ، سنة ١٩٨٩) ، ص ٢٣ ، ٢٤ .
١١٧. أنظر : عيون الأخبار تأليف أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدنيورى (دار الكتب العلمية - بيروت ، سنة ١٩٨٥) ج٢/ ٢٠٠، ٢٠١.
١١٨. أنظر : نقد الشعر لأبى الفرج قدامة بن جعفر تحقيق وتعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى (دار الكتب العلمية - بيروت - بدون) ، ص ٦١ ، ٦٢ .
١١٩. انظر : عيار الشعر تأليف : محمد أحمد بن طباطبا العلوى شرح وتحقيق عباس عبد الستار (دار الكتب العلمية - بيروت - ط أولىسنة ١٤٠٢ ، سنة ١٩٨٢) ص ٩ - ١١ .
١٢٠. مقدمة ابن خلدون ج ٣/ ١٣٠٥.
١٢١. انظر : قواع الشعر لأبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب تحقيق وتعليق الدكتور/ رمضان عبد التواب (مطبعة الخانجى - القاهرة - ط ثانية سنة ١٩٩٥) ، ص ٦٣ .
١٢٢. إرجع إلى كتاب : الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء للمرزبانى وغيره لمعرفة هذه العيوب فى الشعر .
١٢٣. قواعد الشعر لثعلب ، ص ٦٦ .
١٢٤. نضرة الإغريض فى نصرة القريض للمظفر العلوى ، ص ١١ .
١٢٥. الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ص ١٣ ومابعدها .
١٢٦. قواعد الشعر لثعلب ، ص ٦٦ .
١٢٧. المصدر السابق ، ص ٧٢ .
١٢٨. نفس المصدر ، ص ٧٦.
١٢٩. نفس المصدر ، ص ٨١.
١٣٠. نفس المصدر ، ص ٨٤ .
١٣١. أنظر : الأمالى تأليف : يموت بن مزرع العبدى تحقيق : ابراهيم صالح (مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ثانية سنة ١٤٠٧ - ١٩٨٦م)، ص ٧٣ " ضمن نوادر الرسائل " .

١٣٢. مقدمة ابن خلدون ج ٣ / ١٢٦٠ .
١٣٣. الكتاب لسيبويه تحقيق : عبد السلام هارون (القاهرة سنة ١٩٧٧)ج ٢٦/١.
١٣٤. أنظر : ضرورة الشعر لأبى سعيد السيرافى تحقيق الدكتور/ رمضان عبد التواب (دار النهضة العربية - بيروت - ط أولى سنة ١٤٠٥ - ١٩٨٥) ص ٣٣ ، ٣٤.
١٣٥. نفس المصدر السابق.
١٣٦. انظر : منهاج البلغاء وسراج الأدباء تأليف : أبى الحسن حازم القرطاجنى تقديم وتحقيق / محمد الحبيب ابن الخوجة (دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، سنة ١٩٨١)، ص ٢٢٢ .
١٣٧. انظر : الضرائر ومايسوغ للشاعر دون الناثر تأليف السيد محمود شكرى الألوسى شرحه : محمد بهجة الأثرى البغدادى(دار الآفاق العربية-القاهرة- ط أولى سنة ١٤١٨-١٩٩٨) ،ص ٥.
١٣٨. المصدر السابق ، ص ٧.
١٣٩. الصاحبى لابن فارس ، ص ٢٧٥ .
١٤٠. انظر : ذم الخطأ فى الشعر لابن فارس اللغوى ، تحقيق وتعليق وتقديم الدكتور / رمضان عبد التواب (الخانجى ، القاهرة ، سنة ١٤٠٠ - ١٩٨٠) ، ص ٢١.
١٤١. تاريخ الشعر العربى للبهبيتى ، ص ٨٥ - ٧٨ .
١٤٢. المصدر السابق واللغة الشاعرة للعقاد ، ص ٤٠.
١٤٣. انظر : كتاب العروض للإمام أبى الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش ، تحقيق وتقديم الدكتور/ أحمد محمد عبد الدايم عبد الله (المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، سنة ١٤٠٥ - ١٩٨٥)، ص ١٢٦- ١٢٨.
١٤٤. كتاب الكافى فى العروض والقوافى للخطيب التبريزى ، تحقيق / الحسانى حسن عبد الله (الخانجى - القاهرة - بدون) ، ص ١٧، ١٨ .
١٤٥. نضرة الإغريض فى نصرة القريض للمظفر العلوى ، ص ٢٧ .
١٤٦. المصدر السابق ، ص ٢٩، ٣٠.
١٤٧. تاريخ الشعر العربى للبهبيتى ، ص ٨٨.
١٤٨. اللغة الشاعرة للعقاد ، ص ٤٥ .

١٤٩. انظر : الإبداع الفكرى الذاتى فى العالم العربى إ شراف الدكتور/ أنور عبد الملك والدكتور/ خلدون النقيب (جامعة الأمم المتحدة ، والهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٩٤ ، ص ٣٢-٤٥.

١٥٠. كما جاء فى كتاب : زعماء الإصلاح لأحمد أمين .

١٥١. انظر : معالم الشريعة الإسلامية تأليف الدكتور صبحى الصالح(دار العلم للملايين - ط أولى سنة ١٩٧٥) ، ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

١٥٢. نفس المصدر السابق ، ص ٣٠٠ ، ٣٠١ وأرجع إلى كتب التفسير .

١٥٣. المصر السابق ، ص ٢٠١.

١٥٤. الإتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر تأليف الدكتور محمد محمد حسنين ، ج ٢ / ٢٨٤.

١٥٥. الإسلام والحضارة العربية تأليف محمد كرد على ج١/ ٤٨ . والبندول هو : الرقاص أو النواس.

١٥٦. نفس المصدر السابق.

١٥٧. انظر : النهضة العربية والنهضة اليابانية ، تشابه المقدمات واختلاف النتائج تأليف الدكتور/ مسعود ضاهر (عالم المعرفة - الكويت ، سنة ١٤٢٠ - ١٩٩٩)، ص ٣٥٦.

١٥٨. مشكلة الثقافة لمالك بن نبى ، ص ١١٧.

١٥٩. انظر : تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده للسيد محمد رشيد رضا (الطبعة الثانية - مطبعة المنار ، سنة ١٣٤٤) ج ٢ / ١٢٣ - ١٢٥.

١٦٠. المصدر السابق ج ٢ / ٢٣١ .

١٦١. المصدر السابق ج٢ / ٢٣٣ ، ٢٣٤.

١٦٢. انظر : سياسات الأديان ، الصراعات وضرورات الإصلاح ، تأليف: نبيل عبد الفتاح (مكتبة الأسرة ، سنة ٢٠٠٣) ، ص ٦٣٩.

١٦٣. انظر : فلسفة العلم تأليف الدكتور/ صلاح قنصوة (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ٢٠٠٢) ، ص ٢٢٧.

١٦٤. انظر : نحو وعى لغوى تأليف : مازن المبارك ، ص ١٣٠، ١٣١.

١٦٥. وحى الرسالة لأحمد حسن الزيات ج ٤/ ٢٩٩ ، ٣٠٠.

١٦٦. الصاحبى لابن فارس ، ص ١٩ ، وانظر : المزهر للسيوطى ج١/ ٢٥٥ - ٢٦١.

١٦٧. وحى الرسالة للزيات ج٤/ ٣٠٠.

١٦٨. الإبداع الفكرى الذاتى فى العالم العربى ، ص ٦٢ - ٨٣ .

١٦٩. أنظر : القيم والعادات الاجتماعية تأليف الدكتورة فوزية دياب (مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٣) ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

١٧٠. وحى الرسالة للزيات ج ٣ / ١٩٩ - ٢٠٢ .

١٧١. المدثر آية : ٣٧ .

١٧٢. انظر : المجددون فى الإسلام تأليف : أمين الخولى (الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠٠) ج١ / ٣٦ ، ٣٧.

١٧٣. الإسلام وخرافة المواجهة الدين والسياسة فى الشرق الأوسط تأليف فريدهاليدادى ، ص ١٦٥ ، ١٦٦.

خاتمة البحث وتوصياته

١ - لقد تبين لنا من خلال معالجة هذا الموضوع، أن حاجتنا ماسة لأن نحافظ على اللغة العربية لسان القرآن الكريم وأداته، وأن نخشى عليها من الضياع وإلا نقراض، لأن أعداءها كثر، ويمتلكون كل وسائل التاثير للقضاء عليها، وتنفير العامة والخاصة منها، وقد آتت دعوة العلمانيين بعض ثمارها المرة، فى حربهم الضروس ضد اللغة العربية. وهذا ما تشاهده فى كل وسائل حياتنا، وفى معاهدنا ومدارسنا وجامعاتنا، بل ومساجدنا وفى كل وسائل الإعلام على اختلاف ضروبها وأشكالها، من ممارسة العامية المبتدلة، أو العربية السقيمة الملحونة دون حياء أو خجل.

٢- ليس لنا أدب إسلامي على الرغم من وفرته وثرائه وخصوبته ، وأنه كفيل بأن يغير سلوك وآداب هذه الأمة فى حالتها الراهنة، وأنه جدير بأن يستغرق طموح الحاضر، ويستشرف آفاق المستقبل على أساس من قيم الإسلام النبيلة.

٣- إن ماضي هذه الأمة وحضارتها وتراثها يتعرض كل أولئك لعمليات من الهدم والتشويه والإفساد المتعمد والطمس الرخيص، تحت دعاوى كاذبة، وشعارات زائفة، ووعود براقة ليس عندها ماء .

٤- إن تراثنا الأدبي ينبغي أن نعمل على إحيائه وبعثه من جديد ، فهو الذى قام على خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية، وحافظ على اللغة وعلى جذورنا العريقة، وعلى قوميتنا وهويتنا الإسلامية والعربية .

٥- غير جدير بنا أن نطأطئ رءوسنا للعامية، او أن نقر لها أن تحتل مكان العربية ومكانتها، مهما نالت من الجوائز، فهي لغة العوام والأمبين، وهى عقيم لا تنجب ، فالنجابة والطلاقة فى لغة القرآن الكريم، اللغة العربية التى هى لغة العلوم والفنون والآداب ، ولغة الشعر.

٦- لسنا خلقاء بالعروبة والإسلام ، ونحن نرى دولة الشعر وهى تنهار ليحل محلها ما يسمي بالشعر الحر، الذى تحرر من كل شئ فى العربية والإسلام فى صياغته، وألفاظه وأغراضه، وصار دعوة إلى الخروج على آداب العروبة والإسلام، فقد هدم الأوزان العربية والقوا فى ، التى تميز لغتنا عن باقي لغات العالم، وصار

اشبه ما يكون بالنثر الممجوج، الذى لا يستلب عقلا، ولا يؤجج عاطفة ، ولا يحرك شعورا ولا حسا ، ولا يبنى وجدانا .

٧- إن تحسين صورة المسلمين لا تكون بالإنسلاخ عن عروبتهم والتنازل عن دينهم، فإن ذلك يزيد فى قبح صورتهم، ويجعلهم كاللقطاء والمرتزقة. وإنما يكسبون احترام العالم أجمع وتقديره، بتمسكهم بدينهم واعتزازهم به ، ودعوتهم له، وحرصهم على تقليده فى سلوكهم ومعاملاتهم وحياتهم ، ولو تسنى لهم ذلك، لمهدوا لأنفسهم مكانة يغبطهم عليها العالم أجمع .

٨- إن تطرف العلمانيين هو الذى خلق بذرة الإرهاب، وهو الذى مساعد على تقسيم الأمة الإسلامية، وهو الذى مهد لأعدائها أن تنال منها.

٩- إن العلمانية العربية أثبتت فشلها الذريع فى كل موقع، وآية ذلك أن الغرب لم يبال بهم ولم يأبه لهم، وجعلهم أسوة بغيرهم، برغم ولائهم التام له فيما يدعون ويكتبون.

١٠- ينبغى على المؤسسات الإسلامية أن تنهض بمسئولياتها فى التصدى للعلمانيين فى كل ما يثيرونه من طعون على ديننا وكتابنا وسنة نبينا ولغتنا وتراثنا الأدبى والشعرى.

١١- إن تجديد خطابنا الدينى، هو إحياء لماضينا المجيد بأسلوب العصر وأدواته، وهو واجب تفرضه ظروف الحاضر، حتى نملأ الساحة الفكرية، ونقدم للعالم صورة المسلم الحق ، الذى أسس لهذه الحضارة الحديثة وساهم فى وجودها.

١٢- ينبغى أن يتضمن نتاجنا العلمى حاجة المجتمع ومشكلاته ، والعمل على إيجاد الحلول العلمية لها، وكذلك دحض كل شبهات العلمانيين وغيرهم ممن يتعرضون لشريعة الإسلام بالطعن أو التشويه، حتى نحاكى عصرنا، ونخدم ديننا وكتاب ربنا

والحمد لله أولاً وآخرا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الإسلام دعوة عالمية "ومقالات أخرى" تأليف عباس محمود العقاد (نهضة مصر للطباعة النشر والتوزيع - القاهرة سنة ١٩٩٩)

٣- الإنسان والحضارة فى العصر الصناعى تأليف: الدكتور/ فؤاد زكريا (مركز كتب الشرق الأوسط - القاهرة سنة ١٩٥٧)

٤- الإسلام فى الفكر الغربى "عرض ومناقشة" تأليف الدكتور/ محمود حمدى زقزوق (دار القلم - الكويت - ط ثالثة سنة ١٤٠٦ - ١٩٨٦)

٥- أصول النقد الأدبى تأليف: أحمد الشايب (مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ط ثامنة سنة ١٩٧٣)

٦- الإلحاد فى الإسلام تأليف الدكتور/ عبد الرحمن بدوى (مصر سنة ١٩٤٥)

٧- الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى (الدار التونسية للنشر سنة ١٩٨٣)

٨- الإسلام والحضارة العربية تأليف محمد كرد على (بدون)

٩- الإسلام وخرافة المواجهة الدين والسياسة فى الشرق الأوسط تأليف: فريد هاليداى ترجمة: محمد مستجير (القاهرة - ط أولى سنة١٩٧٧)

١٠- أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية تأليف: أحمد حسن الباقورى (دار المعارف - ط رابعة - بدون)

١١- الإحكام فى أصول الأحكام للحافظ أبى محمد بن حزم الأندلسى الظاهرى بتحقيق لجنة من العلماء (دار الحديث - القاهرة - ط أولى سنة ١٤٠٤- ١٩٨٤)

١٢- أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية تأليف: محمد عبد الواحد حجازى (سلسلة مجمع البحوث الإسلامية- القاهرة - عدد رقم ٤٣ سنة ١٩٧١)

١٣- الإسلام والمستشرقون تأليف: تحبة من العلماء المسلمين (عالم المعرفة للنشر والتوزيع - السعودية - ط أولى سنة ١٤٠٥ - ١٩٨٥)

١٤- إحياء التقاليد العربية تأليف الدكتور/ رفيق حبيب (دار الشروق - القاهرة سنة ٢٠٠٣)

١٥- الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر تأليف الدكتور/ محمد محمد حسين (مؤسسة الرسالة - بيروت - ط سابعة سنة ١٤٠٥- ١٩٨٤.

١٦- أصول الأدب - محاضرات ومقالات فى الأدب العربى تأليف: أحمد حسن الزيات (شركة الخزندار - السعودية - بدون)

١٧- الإسلام والحضارة الغربية تأليف الدكتور محمد محمد حسين (دار الرسالة - السعودية - ط تاسعة سنة ١٤١٣- ١٩٩٣)

١٨- أحكام القرآن للإمام عماد الدين بن أحمد الطبرى المعروف بالكيا الهراسى (دار الكتب العلمية - بيروت - ط ثانية سنة ١٤٠٥ - ١٩٨٥)

١٩- أحكام القرآن لأبى بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربى تحقيق/ على محمد البجاوى (عيسى البابى الحلبى - بمصر - ط ثانية سنة ١٣٨٧ - ١٩٦٨)

٢٠- الاتقان فى علوم القرآن لجلال الدين السيوطى (دار مكتبة الهلال - بيروت - بدون)

٢١- أصول السرخسى للإمام أبى بكر محمد بن أحمد بن أبى سهل السرخسى تحقيق/ أبو الوفا الأفغانى (دار العرفة - بيروت - بدون)

٢٢- أصول الشاشى لأبى على الشاشى (دار الكتاب العربى - بيروت - سنة ١٤٢٠ - ١٩٨٢)

٢٣- أصول الفقه الإسلامى تأليف الدكتور وهبه الزحيلى (دار الفكر - دمش - ط أولى سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦)

٢٤- الإحكام فى أصول الأحكام تأليف سيق الدين أبى الحسن على الآمدى (دار الكتب العلمية - بيروت - ط أولى سنة ١٤٠٥ - ١٩٨٥)

٢٥- أدب الكابت لابن قتيبة (دار صادر - بيروت - سنة ١٣٨٧ - ١٩٦٧)

٢٦- الأمالى تأليف أبى على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى (دار الكتب العلمية - بيروت - بدون)

٢٧- الأدب المفرد للإمام البخارى (مكتبة الآداب - القاهرة سنة ١٤٠٠ - ١٩٧٩)

٢٨- الأمالى تأليف: يموت بن مزرع العبدى تحقيق: إبراهيم صالح "ضمن نوادر الرسائل" (مؤسسة الرسالة بيروت - ط ثانية سنة ١٤٠٧- ١٩٨٦)
٢٩- الإبداع الفكرى الذاتى فى العالم العربى إشراف الدكتور/ أنور عبد الملك والدكتور/ خلدون النقيب (جامعة الأمم المتحدة، والهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٤.
٣٠- البلاغة العصرية واللغة العربية تأليف: سلامة موسى (المطبعة العصرية - القاهرة سنة ١٩٤٥)
٣١- البيان العربى تأليف الدكتور/ بدوى طبانة (دار المنارة - جدة - ط تاسعة- بدون)
٣٢- بحوث ومقالات فى اللغة تأليف الدكتور/ رمضان عبدالتواب (مكتبة الخانجى - القاهرة - ط ثانية سنة ١٤٠٨- ١٩٨٨)
٣٣- البيان والتبين لأبى عثمان عمر بن بحر الجاحظ تحقيق وشرح: عبد السلام هارون(دار الفكر - بيروت - بدون)
٣٤- تزييف الوعى تأليف: فهمى هويدى (دار الشروق - ط ثانية - القاهرة سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢)
٣٥- تاريخ آداب العرب تأليف مصطفى صادق الرافعى (دار الكتاب العربى - بيروت - ط رابعة سنة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤)
٣٦- تحت راية القرآن تأليف: مصطفى صادق الرافعى (دار الكتاب العربى - بيروت - ط ثامنة سنة ١٤٠٣- ١٩٨٣)
٣٧- التنبيه على حدوث التصحيف تأليف: حمزة بن الحسين الأصفهانى تحقيق: محمد أسعد طلس (دار صادر - بيروت - ط ثانية سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢)
٣٨- التوجيه الأدبى تأليف الدكتور/ طه حسين مع آخرين (المطبعة الأميرية -القاهرة سنة ١٩٤٤)
٣٩- تفسير التحرير والتنوير تأليف محمد الطاهر بن عاشور(الدار التونسية بدون)
٤٠- تفسير القرآن العظيم للإمام عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى (عيسى البابى الحلبى بمصر - بدون)
٤١- تفسر الفخر الرازى للإمام محمد الرازى فخر الدين (دار الفكر بيروت - ط ثالثة سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥)

٤٢- التفسير الكبير المسمى البحر المحيط تأليف أثير الدين أبى عبد الله محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الأندلسى الغرناطى الشهير بأبى حيان (دار إحياء التراث العربى - بيروت - ط ثانية سنة ١٤١١هـ ١٩٩٠)
٤٣- تفسير الطبرى المسمى جامع البيان فىتفسير القرآن (دار الريان للتراث القاهرة سنة ١٤٠٧- ١٩٨٧)
٤٤- تفسير الألوسى المسمى روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للعلامة محمود الألوسى البغدادى (دار الفكر - بيروت - بدون)
٤٥- تفسير أبى السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (دار الفكر - بيروت - بدون)
٤٦- تفسر القرطبى الجامع لاحكام القرآن للامام أبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى (دار الكتب العلمية - بيروت ط أولى سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨)
٤٧- تاريخ الشعر العربى حتى آخر القرن الثالث الهجرى تأليف: نجيب محمد البهبيتى (دارالفكر - ط رابعة سنة ١٩٧٠)
٤٨- تاريخ الأدب العربى تأليف: أحمد حسن الزيات (القاهرة - ط أربعة وعشرون)
٤٩- تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده للسيد محمد رشيد رضا (الطبعة الثانية - مطبعة المنار سنة ١٣٤٤)
٥٠- الثورة والأدب تأليف: لويسى عوض (دار الكتاب العربى سنة ١٩٦٧)
٥١- جريدة الأهرام المصرية بعددها الصادر بتاريخ ٨/ ١٠/ ٢٠٠٣م تحت عنوان : الأسباب مفهومة!
٥٢- جوته والعالم العربى تأليف: كاتارينا مومزن ترجمة: الدكتور عدنان عباس على (عالم المعرفة - الكويت سنة ١٩٩٥)
٥٣- حاشية العلامة البنانى على شرح الجلال المحلى على متن جمع الجوامع للسبكى (مصطفى البابى الحلبى سنة ١٣٥٦- ١٩٣٧)
٥٤- حاشية الشهاب على البيضاوى (دار صادر- بيروت - بدون)
٥٥- حصوننا مهددة من داخلها تأليف الدكتور/ محمد محمد حسين (مؤسسة الرسالة - بيروت - ط الحادية عشرة سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨)

٥٦- حلية الأولياء لأبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهانى (دار الكتاب العربى - بيروت - سنة ١٤٠٠)
٥٧- الخصائص لأبى الفتح عثمان بن جنى بتحقيق: محمد على النجار (الهيئة المصرية العامة للكتاب - ط ثالثة سنة ١٤٠٦ - ١٩٨٦)
٥٨- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب تأليف: عبد القادر بن عمر البغدادى تحقيق وشرح: عبد السلام هارون (الخانجى - القاهرة - ط ثالثة سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩)
٥٩- دلائل الإعجاز فى علم المعانى تأليف الإمام عبد القاهر الجرجانى (دار المعرفة - بيروت سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢)
٦٠- ذم الخطأ فى الشعر لابن فارس اللغوى بتحقيق وتعليق وتقديم: الدكتور/ رمضان عبد التواب (الخانجى - القاهرة سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠)
٦١- روائع المقال تأليف: هوستون بيترسون ترجمة : يونس شاهين (الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٥)
٦٢- الروض الأنف تأليف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمى المعروف بالسهيلى بتحقيق/ عبد الرحمن الوكيل (دار الكتاب العربى - بيروت سنة ١٤٠٠هـ)
٦٣- روضة الناظر وجنة المناظر تأليف موفق الدين عبد الله ابن قدامة المقدسى (دار الكتاب العربى - بيروت - ط ثانية سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧)
٦٤- زهر الآداب وثمر الألباب لأبى إسحاق وإبراهيم بن على الحصرى بتحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد (دار الجيل - بيروت - ط رابعة بدون).
٦٥- الزينة فى الكلمات الإسلامية تأليف إبى حاتم أحمد الرازى تحقيق وتعليق حسين بن فيض الله، الدكتور عبد الله السامرائى (بدون)
٦٦- سياسات الأديان، الصراعات وضرورات الإصلاح تأليف: نبيل عبد الفتاح (مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٣)
٦٧- شرح التلويح على التوضيح فى أصول الفقه (دار الكتب العلمية - بيروت - بدون)
٦٨- شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية فى أوروبة" تأليف: المستشرقة الألمانية: زيغريد هونكه. نقله عن الألمانية: فاروق بيضون، وكمال دسوقى، راجعة ووضع حواشيه مارون

عيسى الخورى (دار الجيل - بيروت - ط ثامنة سنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣)
٦٩-الشعر والشعراء تأليف أبى محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة (دار إحياء العلوم - بيروت - ط رابعة سنة ١٤١٢ - ١٩٩١)
٧٠-الشرع واللغة "ضمن" الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين فى مصر تأليف: أحمد محمد شاكر (دار الكتب السلفية - ط ثالثة سنة ١٤٠٧)
٧١-الشعوبية وأثرها الاجتماعى والسياسى فى الحياة الإسلامية فى العصر العباسى الأول تأليف الدكتورة: زاهية قدورة (المكتب الإسلامى - بيروت - ط أولى سنة ١٤٠٨- ١٩٨٨)
٧٢-الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته تحرير: كويلرينج ترجمة: الدكتور عبد الرحمن أيوب (الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠٢)
٧٣-الصاحبى لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بتحقيق السيد أحمد صقر (دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - بدون)
٧٤-صحيح البخارى بشرح وترقيم الدكتور/ مصطفى ديب البغا (دار ابن كثير - دمشق - ط رابعة سنة ١٤١٠)
٧٥-صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى (دار الحديث - القاهرة - ط أولى سنة ١٤١٢)
٧٦-ضرورة الفن تأليف: أرنست فيشر ترجمة: أسعد حليم (الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٩٨)
٧٧-ضرائر الشعر. كتاب مايجوز للشاعر فى الضرورة لأبى عبد الله القزاز القيروانى بتحقيق وشرح ودراسة الدكتور/ محمد زغلول سلام والدكتور/ محمد مصطفى هدارة (الناشر: منشأة المعارف - الإسكندرية - بدون)
٧٨-ضرورة الشعر لأبى سعيد السيرافى تحقيق الدكتور/ رمضان عبد التواب(دار النهضة العربية - بيروت - ط أولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥)
٧٩-ضحى الإسلام تأليف: أحمد أمين (دار الكتاب العربى - بيروت - ط عاشرة - بدون)
٨٠-الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر تأليف: السيد محمود شكرى الألوسى شرحه: محمد بهجة الأثرى البغدادى (دار الآفاق العربية - القاهرة - ط أولى سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨)

٨١-طبقات فحول الشعراء تأليف: محمدبن سلام الجمحى. بتحقيق: محمود محمد شاكر (دار المعارف - القاهرة - بدون).
٨٢-عيون الأخبار تأليف: أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قيبة الدينورى (دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٩٨٥)
٨٣-العروض للإمام أبى الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش تحقيق وتقديم الدكتور/ أحمد محمد عبد الدايم عبد الله (المكتبة الفيصلية - مكة المكرمة سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥)
٨٤-عبقرية اللغة العربية تأليف الدكتور/ عمر فروخ (دار الكتاب العربى - بيروت - سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١)
٨٥-عمدة القارئ لبدر الدين أبى محمد محمود بن أحمدالعينى (مصطفىالبابى الحلبى - بمصر - ط أولى سنة ١٣٩٢)
٨٦-عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ تأليف أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود الحلبى العروف بالسمين بتحقيق: محمود السيد الدغيم (دار السيد للنشر - ط أولى سنة ١٤٠٧- ١٩٨٧)
٨٧-عيار الشعر تأليف: محمد أحمد بن طباطبا العلوى شرح وتحقيق/ عباس عبد الستار (دار الكتب العلمية - بيروت - ط أولى سنة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢)
٨٨-العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق أبى على الحسن بن رشيق القيروانى الأزدى تحقيق وتعليق/ محمدمحيى الدين عبد الجميد (دار الجيل - بيروت - سنة ١٣٥٣هـ ١٩٣٤)
٨٩-غريب القرآن فى شعر العرب "سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس" تحقيق: محمد عبد الرحيم، وأحمد نصر الله (مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - ط أولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣)
٩٠-الغيث المسجم فى شرح لامية العجم تأليف: صلاح الدين خليل أيبك الصفدى (دار الكتب العلمية - بيروت - ط ثانية سنة ١٤١١هـ)
٩١-فى الأدب الجاهلى تأليف الدكتور/ طه حسين (دار المعارف بمصر - ط ثانية)
٩٢-الفاضل لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد تحقيق/ عبد العزيز الميمنى (الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٥).

٩٣-فتح البارى بشرح صحيح البخارى تأليف: على بن أحمد بن حجر العسقلانى بتحقيق/ محيى الدين الخطيب وبترقيم: محمد فؤاد عبد الباقى (دار الريان - القاهرة - ط أولى سنة ١٤٠٧)
٩٤-الفن ومذاهبه فى الشعر العربى تأليف الدكتور شوقى ضيف (دار المعارف - القاهرة - ط عاشرة سنة ١٩٧٨)
٩٥-الفصحى لغة القرآن تأليف: أنور الجندى (دار الكتاب اللبنانى - بدون)
٩٦-الفن ومذاهبه فى النثر العربى تأليف الدكتور/ شوقى ضيف (دار المعارف - ط تاسعة - القاهرة سنة ١٩٨٠)
٩٧-فلسفة العلم تأليف الدكتور/ صلاح قنصوة (الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠٢)
٩٨-الفنون والإنسان - مقدمة موجزة لعلم الجمال تأليف: أورين أدمان ترجمة: مصطفى حبيب تقديم الدكتور/ ماهر شفيق فريد (الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠١)
٩٩-الفصل فى الملل والأهواء والنحل للإمام إبن حزم الظاهرى (مكتبة السلام العالمية- القاهرة - بدون)
١٠٠- فقه اللغة وخصائص العربية تأليف: محمد المبارك (دار الفكر - بيروت - بدون)
١٠١- القسطاس فى علم العروض تأليف: جار الله محمود الزمخشرى تحقيق الدكتور/ فخر الدين قباوة (مكتبة المعارف - بيروت- ط ثانية سنة ١٤١٠هـ - ١٩٨٩)
١٠٢- القيم والعادات الاجتماعية تأليف الدكتورة/ فوزية دياب (مكتبة الأسرة سنة ١٩٨٩)
١٠٣- قواعد الشعر لأبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب تحقيق وتعليق الدكتور/ رمضان عبد التواب (الخانجى - القاهرة - ط ثانية ١٩٩٥)
١٠٤- قطوف أدبية. دراسات نقدية فى التراث العربى حول تحقيق التراث تأليف: عبد السلام محمد هارون (مكتبة السنة - القاهرة - ط أولى سنة ١٤٠٩- ١٩٨٨)
١٠٥- القصة فى الأدب العربى وبحوث أخرى تأليف محمود تيمور (مكتبة الآداب القاهرة سنة ١٩٧١)

١٠٦- قراءات فى النقد الأدبى تأليف الدكتور/ جابر عصفور (مكتبة الأسرة ٢٠٠)
١٠٧- كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوى تأليف علاء الدين عبد العزيز البخارى (دار الكتاب العربى - بيروت - سنة ١٤١٤هـ)
١٠٨- الكتاب المقدس (دار الكتاب المقدس بالشرق الأوسط - بدون)
١٠٩- الكافى فى العروض والقوافى لخطيب التبريزى تحقيق: الحسانى حسن عبد الله (الخانجى - القاهرة - بدون)
١١٠- كف الرعاع تأليف: أحمد بن محمد بن على بن حجر الهيثمى تحقيق: محمد عبد القادر عطا (دار الكتب العلمية - بيروت - سنة ١٤٠٦)
١١١- الكتاب لسيبويه: تحقيق: عبد السلام هارون (القاهرة سنة ١٩٧٧)
١١٢- الكشاف تأليف: أبى القاسم جار الله محمود الزمخشرى (مصطفى البابى سنة ١٣٩٢- ١٩٧٢)
١١٣- اللغة الشاعرة تأليف: عباس محمود العقاد (مكتبة غريب - القاهرة - بدون)
١١٤- منهاج البلغاء وسراج الأدباء تأليف: أبى الحسن حازم القرطاجنى تقديم وتحقق: محمد الحبيب ابن الخواجه (دارالغرب الإسلامى - بيروت سنة ١٩٨١)
١١٥- المغنى تأليف: موفق الدين بن قدامة الحنبلى (دار الكتاب العربى بيروت سنة ١٤٠٣)
١١٦- معالم الشريعة الإسلامية تأليف: الدكتور/ صبحى الصالح (دار العلم للملايين - ط أولى سنة ١٩٧٥)
١١٧- من حديث الشعر والنثر تأليف الدكتور/ طه حسين (دار المعارف - القاهرة - ط عاشرة - بدون)
١١٨- الموازنة بين أبى تمام والبحترى تأليف أبى القاسم الحسين بن بشر بن يحيى الآمدى تحقيق وتعليق: محمد محيى الدين عبد الحميد (القاهرة سنة ١٣٦٣هـ ١٩٩٤)
١١٩- مستقبل الثقافة العربية تأليف الدكتور/ محمود الطناحى (دار الهلال - عدد ٥٨١ - ١٩٩٩)

١٢٠- الموسيقى والحضارة تأليف: هوجولا يختتريت ترجمة الدكتور/ أحمد حمدى محمود مراجعة الدكتور/ حسين فوزى (مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٣ القاهرة)
١٢١- المسرح فى الوطن العربى تأليف الدكتور على الراعى (عالم المعرفة - الكويت - ثانية سنة ١٤١٠ - ١٩٩٠)
١٢٢- المستصفى للغزالى وبهامشه فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت لمحب الله بن عبد الشكور (دار الفكر بيروت بدون)
١٢٣- مفاتيح العلوم للخوارزمى محمد بن أحمد بن يوسف تحقيق: إبراهيم الإبيارى (دار الكتاب العربى - بيروت .ط أولى سنة ١٤٠٤- ١٩٨٤)
١٢٤- مدينة النور تأليف: أحمد عبد المعطى حجازى (الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ٢٠٠٠)
١٢٥- المفترون. خطاب التطرف العلمانى فى الميزان تأليف: فهمى هويدى (دار الشروق - ط أولى - القاهرة سنة ١٤١٦- ١٩٩٦)
١٢٦- المجددون فى الإسلام تأليف: أمين الخولى (الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠٠)
١٢٧- مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية تأليف الدكتور/ ناصر الدين الأسد (دارالمعارف - بمصر سنة ١٩٨٨)
١٢٨- مقدمة العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون بتحقيق الدكتور/ على عبد الواحد وافى (نهضة مصر - ط ثالثة - بدون)
١٢٩- مواجهة الإرهاب قراءات فى الأدب المعاصر تأليف الدكتور/ جابر عصفور (مكتبة الأسرة ٢٠٠٣- القاهرة)
١٣٠- المستدرك للحاكم أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه النيسابورى المعروف بالحاكم (دار الكتاب العربى - بيروت - بدون)
١٣١- مغنى المحتاج تأليف/ محمد بن أحمدالشربينى الخطيب (دار إحياء التراث العربى - بيروت - بدون)
١٣٢- المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى شرح وتعليق: محمد جاد المولى وآخرين (المكتبة العصرية - بيروت - سنة ١٤٠٨- ١٩٨٧)

١٣٣- المعرب لأبى منصور الجواليقى تحقيق الدكتور/ ف. عبد الرحيم (دار القلم - دمشق - ط أولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠)
١٣٤- معجم الألفاظ والتراكيب المولدة فى شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل لقاضى القضاة شهاب الدين أحمد الخفاجى المصرى تحقيق وصنعة الدكتور/ قصى الحسين (دار الشمال للطباعة - طرابلس - لبنان - ط أولى ١٩٨٧)
١٣٥- المولد فى العربية "دراسة فى نمو اللغة العربية وتطورها بعدالإسلام" تأليف الدكتور/ حلمى خليل (دارالنهضة العربية - بيروت - ط ثانية سنة ١٤٠٥ - ١٩٨٥)
١٣٦- معانى القرآن وإعرابه للزجاج إبى إسحاق إبراهيم بن السرى شرح وتحقيق الدكتور/ عبد الجليل شلبى (عالم الكتب - بيروت - ط أولى سنة ١٤٠٨ - ١٩٨٨)
١٣٧- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل تأليف عبد القادر بن أحمد ابن بدران (دار الكتب العلمية - بيروت - سنة ١٩٩٦)
١٣٨- مشكلة الثقافة تأليف: مالك بن نبى ترجمة: عبد الصبور شاهين (دار الفكر - دمشق سنة ١٤١٠هـ - ١٩٨٩)
١٣٩- محاضرات الأدباء ومحاروات الشعراء البلغاء للراغب الأصفهانى هذبه واختصره: إبراهيم زيدان (دار الجيل - بيروت - ط ثانية سنة ١٤٠٦- ١٩٨٦)
١٤٠- الممتع فى صنعة الشعر تأليف: عبد الكريم النهشلى القيروانى تحقيق الدكتور/ محمد زغلول سلام (منشأة المعارف بالإسكندرية سنة ١٩٨٠)
١٤١- المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير (مكتبة محمود توفيق - القاهرة سنة ١٩٣٥)
١٤٢- من راوئع حضارتنا تأليف الدكتور/ مصطفى السباعى (المكتب الإسلامى - بيروت - بدون)
١٤٣- مدخل إلى الأدب الإسلامى تأليف الدكتور/ نجيب الكيلانى (كتاب الأمة - قطر - ١٤٠٧)
١٤٤- الماضى المشترك بين العرب والغرب. أصول الآداب الشعبية الغربية تأليف: أ.ل. رانيلا ترجمة الدكتورة/ نبيلة إبراهيم (عالم المعرفة - الكويت - سنة ١٤١٩ - ١٩٩٩)

١٤٥- الموافقات فى أصول الأحكام تأليف أبى إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمى الغرناطى الشهير بالشاطبى بتعليق محمد حسنين مخلوف (دار الفكر - بيروت - بدون)
١٤٦- نقض أوهام المادية الجدلية تأليف الدكتور/ محمد سعيد رمضان البوطى (دار الفكر - دمشق - ثانية سنة ١٤٠٧- ١٩٨٦)
١٤٧- النثر الفنى فى القرن الرابع تأليف الدكتور/ زكى مبارك (دار الجيل - بيروت - بدون)
١٤٨- نضرة الإغريض فى نصرة القريض تأليف: المظفر بن الفضل العلوى تحقيق الدكتورة/ نهى عارف الحسن (دار صادر - بيروت - ط ثانية سنة ١٤١٦ - ١٩٩٦)
١٤٩- نقد الشعر لأبى الفرج قدامة بن جعفر تحقيق وتعليق الدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجى (دار الكتب العلمية - بيروت - بدون)
١٥٠- النهضة العربية والنهضة اليابانية تشابه المقدمات واختلاف النتائج تأليف الدكتور/ مسعود ضاهر (عالم المعرفة - الكويت سنة ١٤٢٠- ١٩٩٩)
١٥١- نحووعى لغوى تأليف: مازن المبارك (مؤسسة الرسالة -بيروت سنة ١٤٠٦ - ١٩٨٥)
١٥٢- نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور تأليف برهان الدين أبى الحسين إبراهيم بن عمر البقاعى (دار الكتاب الإسلامى بالقاهرة - ط ثانية سنة ١٤١٣- ١٩٩٢)
١٥٣- النقد الأدبى تأليف: أحمد أمين (دار الكتاب العربى - بيروت ط رابعة سنة ١٣٨٧- ١٩٦٧)
١٥٤- الوساطة بين المتنبى وخصومه للقاضى على بن عبد العزيز الجرجانى تحقيق: هاشم الشاذلى (دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - بدون)
١٥٥- وحى الرسالة تأليف: أحمد حسن الزيات (دار الثقافة - بيروت - ط عاشرة سنة ١٤٠٥- ١٩٨٥)

فهرس الموضوعات

الصفحة

المقدمة: .....

خطة البحث : .....

الفصل الأول : المقدمات والتمهيدات: .....

مدخل : .....

١- العلمانية وصلتها بالشعوبية والزندقة .....

تعريف الشعوبية : .....

متى نشأت ؟ .....

كيف نشأت؟ .....

صلة الشعوبية بالزندقة .....

منهج الشعوبية فى عملها ، وأدواتها .....

الشبهات التى يرددها الشعوبيون: .....

٢- مداخل العلمانية تشبه مداخل الشعوبية فى محاربة الإسلام...

٣- دهاء العلمانية فى الوقوف خلف كل عمل مشروع لتنفيذ مخططاتها: .....

هوامش المقدمة والفصل الأول : .....

الفصل الثانى: العلمانيون: وإحلال العامية محل العربية ، والرد عليهم وتحته مباحث :

المبحث الأول: أول من نادى بالعامية.....

المبحث الثانى: طبيعة العامية تمنعها أن تحل محل الفصحى.....

المبحث الثالث: أصل فكرة الدعوة إلى العامية .....

المبحث الرابع: الهدف الحقيقى من إحلال العامية محل العربية ..

المبحث الخامس: وشهد شاهد من أهلها .....

المبحث السادس: اللغة العربية مدينة للقرآن الكريم بحياتها وإزدهارها وبقائها إلى اليوم .....

المبحث السابع: أسباب إنتشار اللغة العربية

أسباب أخرى لإنتشار اللغة العربية واكتمالها .....

المبحث الثامن: تأثر اللغات اللاتينية وغيرها باللغة العربية .....

المبحث التاسع : شهادة الخصوم بفضل اللغة العربية .....

المبحث العاشر: بعض أوجه الخلاف بين اللغة العربية، وبين غيرها من اللغات الأخرى، وبيان ما تمتاز به العربية فى ذلك:

هوامش الفصل الثانى .....

الفصل الثالث: موقف العلمانيين من الأدب العربى، والرد عليهم ، وتحته أربعة مباحث:

١- صلة الأدب العربى بالقرآن الكريم واللغة العربية .....

٢- تعريف الأدب عند علماء العرب وعند العلمانيين.....

٣- تخصص بعض المستشرقين فى الأدب العربى .....

٤- مصادر المستشرقين والعلمانيين فى الأدب العرب، ومنهجهم فى دراسته ، والرد عليهم.....

هوامش الفصل الثالث .....

الفصل الرابع: العلمانيون: وموقفهم من الشعر العربى، والرد عليهم . وتحته مباحث:

١- تعريف العلمانيين للشعر .....

٢- متى بدأت هذه الحركة، وكيف بدأت؟.....

٣- أساس هذه الفكرة.....

٤- تقييم هذه الفكرة ، وبيان أهدافها، والرد عليها.....

٥- الهدف الأكبر لحركة الشعر الحر .....

٦- حياة الأمم وتفكيرهم فى مفردات لغاتهم .....

٧- الشعوب المتحضرة تتمسك بعقائدها.....

٨- بضاعتنا ردت إلينا .....

٩- المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه، والعلمانيون عندنا .....

١٠- تعريف الشعر عند العرب، وبيان فضله .....

١١- صلة الشعر بالقرآن الكريم .....

١٢ - حكم الشعر فى الإسلام .....

الأدلة من السنة .....

الرد على أصحاب الرأى بالكراهة على إطلاقها، وتوجيه هذا الرأى.

علماء التفسير وآيات الشعراء: .....

علماء الفقه والأصول ، وآيات الشعراء من حيث عمومها ؛ وخصوصها: .....

١٣ - عود على بدء .....

١٤- قوانين الشعر العربى، وهل يمكن الخروج عليها .....

١٥- مراتب الشعر العربى .....

١٦- الضرورة الشعرية لموافقة الوزن والقافية والحفاظ على

سلامة اللغة .....
١٧- المبحث الختامى: الإحياء والتجديد ، وعلاج آلام الأمة الإسلامية .....
هوامش الفصل الرابع .....
خاتمة البحث وتوصياته .....
فهرس المصادر والمراجع .....
فهرس الموضوعات .....